حنا يوسف إيشوع (ابو فلاح)

صدى الذكريات

اسم الكتاب: صدى الذكريات / حنا يوسف إيشوع (ابو فلاح)

مراجع النص: صباح هرمز الشاني

التصميم: هيرش مغديد باشه

عدد النسخ: 300

المطبعة: ازادي

صدى الذكريات

حنا يوسف إيشوع

الإهداء

الى من أحببتهم من أعماق قلبي...والدتي الحنونة هنيسة شابو رحمها الله، وزوجتي الغالية سليمة رحيم. .

بدايةً أود الأشارة الى أن الكثير من الرفاق والأصدقاء وحتى الأهل، طلبوا مني أن أدون ذكرياتي، إلآ أنني للوضع الخاص بي، تحديدا لفقدان بصري، كنت أتملص في كل مرة، الأستجابة لطلبهم، لصعوبة تنفيذه، وترجمته على أرض الواقع، وأنا أعيش في وضع غير طبيعي، بل قاسي ومؤلم، وخاصة على زوجتي التي باتت تتحمل القسط الأوفر منه. وقد يكون، ربما لتقدمي في العمر، حيث أكاد أتجاوز العقد الثامن؛ سببا مضافا الى الأسباب الأخرى، لتحول دون ذلك، ومع هذا، خشية نسيان الجزء المهم من ذكرياتي، وطيها مع هذا الزمن الصعب، أقتنعت في نهاية الأمر، أن أدونها، ذلك لا لكي أجعل من نفسي بطلا، كما هو سائد في كتابة معظم المذكرات، بل لأرويها، كما عشتها، ليستفيد منها هذا الجيل، والأجيال اللاحقة.

ولدت في أربيل – عنكاوا بتأريخ 20-10-1942 ، ونشأت وترعرعت في عائلة تتكون من تسعة أفراد، الأب والأم، والجد والجدة، بالإضافة الى شقيقاتي الثلاث، وشقيقي الوحيد المرحوم (صباح) الأصغر، الذي فقد بصره، أثر إجراء عملية جراحية، وهو في العاشرة من عمره. وعانى ما عاناه، قد تفوق معاناتي، لأنني فقدت بصري، في وقت متأخر.

كانت عنكاوا وقتذاك، قرية صغيرة، بيوتها مبنية من الطين ومتلاصقة مع بعضها البعض، إذ كان من السهل الإنتقال من بيت الى بيت آخر، عبر سطوح المنازل، ويعتمد سكانها على مياه عين (كهريز) التي تخترق وسط القرية، وتستخدم للشرب والغسل. وكأي قرية من قرى العراق، كانت تخلو من الوسائل الحديثة المتطورة الموجودة في المدن كالكهرباء والشوارع المبلطة، أو المستوصف، وحتى الى الأسواق، وكانت حقول الحنطة والشعير والعدس تحيط بها من كل جانب، وفي أيام الصيف كانت العوائل تنام فوق سطوح المنازل وتتبادل مع الجيران الأحاديث الممتعة والقصص.

كانت تربط بين أهالي القرية، وشائج وروابط أجتماعية متينة، وقد يعود مرد ذلك، الى توحدهم الديني، وإنتماء معظمهم الى الطبقة ذاتها، ذلك أن معظم أهالي القرية كانوا يعملون في مهنة الزراعة وتربية المواشي، ويعمل قسم منهم، لقاء أجر في مواسم الزراعة والحصاد، وكذلك في بناء البيوت الطينية، كما وكان هناك بعض العوائل، على ندرتها، تمارس مهنة الغزل، والأغلبية منها، تعمل في صناعة الحصران من البردي، والمشروبات الكحولية المصنوع من التمر أو العنب للاستهلاك المحلي.

أكملت دراستي الأبتدائية في مدرسة الحكمة، وأنذاك كان في عنكاوا ثلاث مدارس أبتدائية، أثنتان منهما للبنين وواحدة للبنات. ثم أنتقلت الى أربيل للدراسة المتوسطة، إذ كان، قد تم تعبيد الطريق المؤدي الى أربيل، تسير فيه باصات مصلحة نقل الركاب، ما سهّل الذهاب والأياب الى المدرسة.

في مرحلة الدراسة الأعدادية، أبتعت دراجة هوائية، ساعدتني الوصول الى المدرسة. أثناء موسم سقوط الأمطار كانت السيول تقطع الطريق بين أربيل وعنكاوا، غير أننا كنا نتجاوز هذه الصعوبة ونتغلب عليها، وبعد منتصف الخمسينات تم فتح بعض الشوارع الفرعية فيها، ومدت خطوط إسالة المياه ونصبت حنفيات عامة مشتركة لجميع الناس.

كما تم بناء بعض البيوت الحديثة عن طريق جمعية بناء المساكن للمعلمين، تتوفر فيها وسائل السكن والراحة، وشكلت هذه الخطوة، نقلة نوعية في تأريخ البناء في عنكاوا، رافقها تبليط

الشوارع وتشييد حديقة عامة وإيصال الماء والكهرباء الى البيوت، وبدأت الكثير من العوائل تستخدم ضوء الكهرباء بدلا من الفوانيس.

زادت ثورة الرابعة عشر من تموز عام 1958 من وعي الناس، وفتحت عقولهم على العالم الخارجي، والإطلاع على وسائل الأعلام كالصحف والمذياع.

حضرت لأول مرة في إجتماع جماهيري، أقيم في ساحة مدرسة الحكمة، تحدث فيه الشهيد عبد الاحد المالح عن ثورة 14 تموز، وكان الوعي السياسي ما يزال في بدايته. وأثر ذلك تم فتح مقر الطلبة ونقابة العمال وجمعية الفلاحين. وبدأ العمل الحزبي والنقابي في حركة ونشاط علنيين. وصار للحزب الشيوعي حضور وعمل ونشاط في أوساط مختلف شرائح المجتمع.

وفي عام 1961 أنهيت الدراسة في أعدادية أربيل الفرع الأدبي، وفي نفس العام أنتميت الى الأتحاد الطلبة العام، وكنت أقود حلقة للأصدقاء.

لمناسبة عيد نوروز أقمنا أحتفالا قرب مزار مريم العذراء، الذي يبعد عن عنكاوا بضعة كيلومترات، فلاحقنا أحد أفراد الأمن الذي كان يراقب تحركاتنا وحضر معنا للأجتماع، وعندما أراد الإنصراف أرغمناه على عدم المغادرة، لحين الإنتهاء من الإحتفال، وهذا ما ساعده على تشخيص المزيد من الحاضرين، وأثر ذلك، بدأت الإعتقالات للمشاركين في هذا الإحتفال.

وفي نهاية عام 1961 تم ترشيحي للحزب، وكنت نشطاً في متابعة الاحداث السياسية، ونقلها الى الناس في المقاهي أو مجالس العزاء. وكنا نعقد الأجتماعات الدورية في الحقول الزراعية، وأحياناً في بيوت علف الحيوانات بعيدين عن أنظار الناس، ونتابع في الإجتماع الوضع السياسي والأقتصادي والعلاقة مع الأصدقاء والنشاط الجماهيري والتثقيف الذاتي، ونكتب محاضر ملخصة جداً على ورق خفيف ليسهل التخلص منه بسرعة عند الضرورة.

وفي نهاية عام 1961 نظم الحزب حملة لوقف الاقتتال الدائر في كوردستان العراق، وقد ساهمت بكتابة الشعارات على الورق بهدف توزيعها على البيوت، وعندما ذهبت في الليل لأسلم ما كتبته الى أحد الرفاق ليتم توزيعها في اليوم الثاني، أخبرني أنني كنت تحت المراقبة الأمنية، وبالفعل تم أعتقالي في اليوم الثاني مع ثلاثة رفاق آخرين، وبقينا في موقف سراي أربيل أحد عشر يوما ثم أفرج عنا بكفالة.

ان ثورة 14 تموز رغم عمرها القصير، غير أنها حققت مكاسب ومنجزات سياسية مهمة، فقد نال العراق أستقلاله السياسي وخرج من حلف بغداد، وأقتصاديا تحررت العملة العراقية من الباوند الأسترليني وتم تأسيس شركة النفط الوطنية، وصدر قانون الأصلاح الزراعي، ولأول مرة أعتبر الدستور العراقي المؤقت، (العرب والكرد) شركاء في الوطن، فضلا عن القوانين التي تخص الضمان الإجتماعي وحقوق المرأة وتشكيل الجمعيات والنقابات وغيرها من القوانين والمكاسب والإجراءات التي حظيت بدعم الحزب.

وكان الحزب في صحافته وأدبياته ونشراته الداخلية ينبه ويحذر من مخاطر التآمر على ثورة الرابعة عشر من تموز، لا سيما، وقد بدأت حكومة عبد الكريم قاسم تتراجع وتلاحق الوطنيين وبالأخص الشيوعيين، بدلا من أتخاذ أحتياطات ضد أعداء الثورة، وفسحت المجال أمام قوى الردة، تضييق الخناق على من كان يدعم النظام ويقف ضد التآمر. وهنا ينبغي التأكيد على أن الحزب الشيوعي لم يتخذ الإجراءات والإحتياطات الضرورية لمواجهة مخاطر التآمر والردة.

ولم يكن ما حدث في الثامن من شباط 1963 مفاجئا للحزب وحتى لجماهير الشعب، ذلك أن ما حدث كان متوقعاً، وقد أجهزت قوى الردة بدباباتها وطائراتها وقواها العسكرية على أجهزة الدولة وسيطرت على الإذاعة والتلفزيون، وصبت نار حقدها الأسود على الحزب الشيوعي ومنظماته ورفاقه.

وإستجابةً لنداء الحزب في مواجهة الإنقلابين، خرجت الجماهير بمظاهرات تطالب الحكومة في تزويدها بالسلاح دفاعا عن الثورة، ولكن دون جدوى، إذ كانت تواجه أسلحة الإنقلابيين بصدور مفتوحة، وقدمت جراء ذلك تضحيات جسيمة. وهكذا سيطر الأنقلابيون على الوضع، وثبّتوا مواقعهم، وبدأت حملات الإعتقالات والإعدامات في كل مكان، وأصدروا بيانهم السيء الصيت رقم 13 الخاص بأبادة الشيوعيين.

وفي عنكاوا، وإستجابةً لنداء الحزب خرجت مظاهرة سلمية تجوب الشوارع، محتجة على بيانات حكومة الإنقلاب التي فرضت حظر التجول، وعندما حاولت الشرطة منع المحتجين من التظاهر، حدث الإصطدام بينهما، وأنتزع عدد من الرفاق سلاح الشرطة، لتضطر قوة عسكرية بقيادة عقيد خليل، التدخل السريع الذي أسفر عنه، تفتيش البيوت، وإعتقال عدد كبير منهم، وضربهم بقسوة، وذلك بعد أن تم جمعهم قرب مركز الشرطة، وجاءت لجنة تحقيق من أربيل بهدف تشخيص من شارك في الإصطدام مع الشرطة، وقد لعب أحد الأفراد من الشرطة ويدعى (فادي) دوراً سيئا، وبتأثير وإيعاز من المفوض جاسم، ليصار الى أعتقال البعض منهم، وكان السيد يوسف بهنام شيشا ووالده قد تعرضا للضرب بشدة وقسوة أثناء الإعتقال.

وفي الحادي عشر من شهر شباط 1963 أعتقلت، وجرى التحقيق معي بحضور مدير الناحية، وأدليت بأفادتي وذكرت فيها، أن لا علم لي بما حدث ولم أشترك في المظاهرة، وإن كان ثمة من شاهدني ليأتي ويشهد ضدي، ولم أعرف أن المفوض جاسم كان حاقدا عليّ، بلغ حدا، أنه جاء بأثنين من الشرطة التابعين له، ليشهدا ضدي. لذا فقد تم توقيفي في موقف سراي أربيل الذي يقع خلف بناية المحافظة مباشرة. كانت غرف الموقف مكتظة بالموقوفين، لذا فقد تعذر عليّ أن أجد مكانا للنوم، ما عدا أمام باب المرافق الصحية الرطب والمبلل بالمياه الذي تفوح الروائح الكريهة منه.

ومنذ التاسع من شباط 1963 هرب العديد من الرفاق الى جبال كوردستان من مختلف المدن خوفاً من الإعتقال، وفي 18 شباط شكلوا أول قاعدة للأنصار في كلكا سماق.

وفي الثامن آذار 1963 هجمت قوة عسكرية، يقودها العقيد خليل على عنكاوا، وطفقت بحملة تفتيش البيوت والإعتداء على المواطنين بالضرب القاسي، وأستشهد جراء ذلك أثنان من مواطنيها، هما أسحاق عيسى أوستا (إجي) والمرحوم منصور دانيال.

أثر ذلك، تم تشكيل الحرس القومي، وكان المنتسبون في صفوفه، يرتادون موقف السراي لإنتزاع الأعترافات من الموقوفين، تحت ضغوطات تعذيبهم، وقد شاهدت بأم عينيّ، ما عملوهُ بالقائد النقابي شيخا شل الذي أعيد الى الموقف وهو في حالة خطرة، ذلك لأنه أبدى موقفا بطولياً عند التحقيق.

وأمام مدخل الردهة 1 و 2 أنشيء قفص حديدي، لإستخدامه أثناء مواجهة ذوي الموقوفين، وحدث مرة أن هرب أحد الموقوفين من هذا القفص أثناء إحدى الزيارات. كما كان في الموقف عدة

غرف، واحدة منها خاصة بالنساء، أبوابها حديدية، ولا تفتح إلآ مرتين في اليوم، لقضاء الحاجة وتناول الأكل فقط.

في أحد الايام نادى عليّ شرطي وأخرجني من الموقف الى غرفة مفوض المركز، كانت هناك والدتي وفهمت منها أنها طلبت مساعدة من طفل يدعى معاوية، وهو مسؤول فرسان صلاح الدين الذي سهّل عليها مواجهتي، وكنت مرتبكاً، قلت لها لا تكرري ذلك مستقبلاً.

عدت الى الموقف وكان من معي من الموقوفين، قد تصوروا أن الحرس القومي قد أستدعاني، فشرحت لهم ما حدث. وفي وقت لاحق، أطلق سراح عدد من الموقوفين الطلاب بكفالة وكنت واحدا من بين الذين أطلق سراحهم. وصلت البيت بعد أيام وشاركت مع رفاق المنظمة في جمع التبرعات العينية، وكانت مفرزة رفاقنا تأتي ليلاً ومعها الشهيد بيا صليوا لأستلام ما تم جمعه لإيصاله الى قاعدة الأنصار.

بعد عشرة أيام أعتقلت مرة أخرى وأعادوني الى موقف السراي، وألتقيت هناك لأول مرة بالرفيق فتاح توفيق (ملا حسن) وكان معه راديو ترانزيستور صغير، وجرى الإتفاق على أن أستمع الى الأخبار وأنا مغطى بالبطانية، لعدم الكشف عن هذا الجهاز المحظور إستخدامه في السجن، ثم أنقلها للرفيق ملا حسن الذي بدوره يوصلها للسجناء. وفي أحد الأيام جاءت الشرطة للتفتيش، فقمنا بإخفائه في بالوعة المجاري، ولم يعثروا عليه.

وفي الموقف عاد الرفيق بويا سبو، وهو كادر عمالي وآثار تعذيب الحرس القومي بادية على جسده، والحق يقال أنه صمد أمام التعذيب بضعة أيام، غير أنه أضطر، الى الخضوع لجلاديه، ولكن من دون إضافة معلومات جديدة، وأقتصر إعترافه على تأييد ماتم الإعتراف عليه فقط.

كانت وجبات طعام الموقوفين بسيطة وعبارة عن شوربة عدس أو الماش صباحاً، والرز مع المرق في وجبة الغداء ونواشف بسيطة مساءً.

أقمنا في إحدى المرات حفلة قدمت خلالها مسرحية للشاعر عبد الله كوران بعنوان " الوردة الدامية " ، مثل فيها الشهيد الرفيق حبيب المالح.

بقينا في هذا الموقف أكثر من عشرة أشهر ثم تم نقلنا الى موقف السراي في كركوك بهدف الإنتظار لأجراء محاكمتنا. في هذا الوقت بدأت بوادر الخلافات والصراعات تشتد بين أقطاب الزمرة الحاكمة، الذين وصلوا الى الحكم بالقطار الأمريكي، كما صرح قائدهم علي صالح السعدي، وأنفرط عقد التعاون بينهم، بلغ حد إستخدام السلاح حسما للموقف.

كما أن أستياء الناس والجيش قد بلغ ذروتهُ، وأستغل عبد السلام عارف هذه الفرصة للإجهاز على الحرس القومي وتنظيمات حزب البعث في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني، ونجح في إزاحة كابوس البعث والحرس القومي عن الحكم، وتنفس الناس الصعداء، وأستبشروا خيراً.

وعودة الى موقف السراي في كركوك، فقد وصلته مجموعة أخرى، متكونة من أثنين وعشرين موقوفاً، وكان مكتظاً بالموقوفين وظروفه سيئة صحياً، ويخلو من نوافذ التهوية وأشعة الشمس، وبلغ عدد الموقوفين فيه قرابة 700 موقوفا. وكان الموقف، أساسا قد بني أسطبلا لخيل الشرطة في العهد العثماني، وكان من الصعوبة الحصول على مكان للنوم، لذلك فقد كنا نتناوب في النوم.

أغرب ما شاهدته في هذا الموقف، هو الشاب الكردي الذي كان يضرب الباب الحديدي بقدميه، غير مبال بأذيتهما، وهو يردد: (أنا عبدالله السلال، سأكسر الباب)، وكان لا يرتاح، إلآ النوم على

السور بين روائح المرافق الصحية الكريهة، مرتدياً الفانيلة واللباس فقط، أخذته جماعة من الموقوفين الكرد وقاموا بتنظيفه وحلاقة شعره ولحيته وألبسوهُ ثيابا نظيفة وأجلسوه معهم، ولكنه بغفلة منهم، مزق بجامته الجديدة وعاد الى مكانه السابق. وهو يردد أنا أريد تحرير كوردستان، وقد توفي في التوقيف قبل ان يتحقق حلمه.

وفي عنكاوا تواصلت الإعتقالات سواءً كان ذلك بشكل فردي أو جماعي، وفي 24-10-1963 تم إعتقال تسعة عشر شخصا، بعد أن عثروا على شجرة تنظيم حزبي مع جميل متي، وفي التحقيق أفرج عن غالبيتهم وصدر الحكم على أثنين منهما فقط.

وفي 18-12-1963 أحيلت مجموعتنا الى المجلس العرفي الرابع في كركوك، وعقدت الجلسة برئاسة أحمد سلمان الجنابي، وأصدرت الأحكام التالية: أثنان منهما خمسة عشر عاما غيابياً وبالاشغال الشاقة، وأثنان آخران خمس سنوات، وسبعة كل واحد منهم سنة واحدة، وثمانية لسنتين، وكنت واحدا ضمن الذين حوكموا بسنتين، وأفرج عن ثلاثة موقوفين فقط. وجدير بالذكر أن بعض الشهود كانوا من عنكاوا نفسها، ولعبوا دوراً سيئاً في إصدار هذه الاحكام، وكانت المحاكمة صورية وغير عادلة ولم تمنح الفرصة الكافية للدفاع عن التهمة الموجهة للذين صدرت الأحكام الجائرة بحقهم. .

وبعد أيام قليلة نقلنا الى سجن بعقوبة، ومعروف عن هذا السجن الذي بناه كلوب باشا، هو لمحاربة الشيوعيين والحد من نشاطهم، وكان ذلك في شباط 1964. فتشنا من قبل الشرطة أثناء وصولنا، وقاموا بحلاقة رؤوسنا، وصادروا ملابسنا وفراشنا الخاص وزودونا بثلاث بطانيات مع كليم وملابس السجن وتسمى " كانا " وأدخلونا بشكل جماعي في القاعة.

في أحد الأيام، وبينما كنت أمشي مع أحد الاصدقاء المحكومين داخل قاعة السجن، جاء أحد أفراد الشرطة، وطلب من كلينا، بعد أن أخرجنا من القلعة، الإنتظار أمام غرفة مدير السجن، وكما يبدو أن هذا الإستدعاء كان لغرض طلب البراءة منا، ولكننا رفضنا، في محاولة من المدير، إستغلال عدم جلوسنا في أماكننا، لمعرفة الحوار الذي دار بيننا، بإعتباره نقطة ضعف، وذريعة للضغط في طرح الأسئلة علينا.

وفي صباح اليوم الثاني تم نقلي الى غرفة أخرى، فيها أربعة سجناء عسكريين سابقاً وهم من مدينة الناصرية. بعد أيام تم نقلي الى الجناح الايسر حيث يتكون هذا الجناح من عدة غرف، يقابلها عدد آخر من الغرف في الجانب الثاني، يفصل بينهما، ممر طويل، وهي غرف ضيقة، وفي كل منها أربعة أو خمسة من السجناء، وتحتوي على مرافق صحية ومغسل وأبوابها مغلقة، وفي كل باب فتحة صغيرة يستخدمها السجين في أثناء الحديث مع الحارس، أو تناول كوب شاي، وهذه الغرف مبنية بحيث لا يرى السجناء بعضهم للبعض الآخر، وحتى سماع الأصوات ممنوعة، بحكم المراقبة. وكنا محصورين داخل هذه الغرف ومحرومين من أشعة الشمس والهواء الطلق والحركة وإستقبال الأهل ومراجعة الطبيب.

إن مدير السجن المدعو كامل عويد، وهو تلميذ كلوب باشا، كان خبيرا في إستخدام أبشع الأساليب، للإيقاع بالشيوعيين ليجعلهم أن يتنازلوا عن إنتمائهم، ويوقعوا على صك البراءة المشؤوم، ولم يكن له مانع، من أجل التأثير، على أمهات وزيجات السجناء، للضغط على ذويهم لتقديم البراءة؛ أن يحلف، ويبكي، لإظهار نفسه، بالمتعاطف مع السجناء، وللتأكيد على أن البراءة تصب لصالحهم. وقد نجح في إسقاط العديد من السجناء في إتباع هذه الطرق البخسة، وكان يساعده في

ذلك، ثلاثة معاونين هم: فهد وجمعة وعبد الرزاق وشلة من أفراد الشرطة، ورئيس عرفاء سيء الصيت والمكروه الذي كنا نسميه ديغول.

ظروفنا الصحية بدأت تسوء من حيث نقص التغذية ، وكان القمل ينخر جلودنا خاصة في المنطقة المحيطة بالجهاز البولي والتناسلي، وعلى شعر العانة، الأمر الذي يضطرنا، حلاقة الشعر بشفرات الحلاقة وبإستخدام مادة الأسفنيك للتخلص من القمل الصغير جداً الذي يعشعش في هذه المنطقة تحديدا، أحصيت مرة عدد القملات التي أجهزت عليها، فقد كان في ملابسي الداخلية (35) قملة.

كان العريف أبو هيال طيباً مع السجناء والجميع يحبونه، وسمعنا أن أبنه كان من رفاقنا، بدأنا نلح عليه كثيراً لمقابلة مدير السجن، كنا قد أتفقنا على مطالب محددة وموحدة. والعريف كان دائماً وبهدوء يقول: (أنا مدير السجن قولوا ما هي مشاكلكم)، ولكننا بقينا مصرين على مقابلة المدير الذي جاءنا ذات يوم ليسمع مطالبنا.

كنت في الغرفة الأولى، بادرت بالكلام، وقلت له: (نحن)، رد عليّ حالا قائلا: (تكلم بأسمك فقط). عرضت عليه معاناتنا ومطالبنا وقلت له: (تعامل معنا كسجناء سياسيين لهم حقوقهم)، أجاب: (لا يوجد هنا سجناء سياسيين)، قلت له: (اذن لماذا تريدون توقيع البراءة منا)، رد بعصبية: (أخرجوه وخذوه)، عندها رافقني أحد أفراد الشرطة وعندما كنت أقطع ممر الجناح الأيسر، مد الشهيد حبيب المالح يده وقال...أبن العم لا تهتم كلنا معك، معبرا عن تضامنه معي. وما أن وصلت الى غرفة معاون المدير المدعو فهد، حتى بدأ رئيس العرفاء السيء الصيت (ديغول) بإهانتي وضربي، ثم قام بتفتيشي، وأخذ ساعتي اليدوية ومبلغ ثلاثة دنانير، وزودني بوصل، ثم نقلت الى غرفة صغيرة مساحتها لا تتجاوز على أربعة أمتار مربعة، أغلق السجان الباب بعصبية، نظرت الى أرض الغرفة، هالني منظر حلقات السلاسل الحديدية، وعرفتُ أنها مخصصة للأشغال الشاقة، وعلى الجدران كانت كتابات كثيرة محفورة بأسماء الذين قضوا فترة سجنهم في هذه الغرفة، مكثت ساعتين ثم أتوا بشخص آخر وأخرجوني، ووضعوني مع السجناء العاديين الذين كانوا في بناية تسمى القلعة، رفضت ذلك بشدة، ثم جاء المعاون جمعة وربط يديّ بالباب الحديدي وكان معه شرطي، وبدءا بضربي بعنف، وقال المعاون لي: (نحن نعذبك الان لأنك وقفت بوجه المدير)، وعندما تأتون للحكم أنتقموا منا، أجبته: (بالعكس أنا أحترمت المدير، وعرضت عليه مطالب عادلة، ثم حسب علمي أنك إنسان طيب، ولا تقوم في تعذيبي، إلآ بأوامر، ونحن نسامح الذين يعملون كذلك، بغير إرادتهم، فأبدى المرونة معي، ثم قال: (هل تريد ان تشرب شاي، قلت له شكراً لا شاي ولا ضرب. حينها فك القيد عن يدي، ثم أخذني الى غرفة الرياضة المقابلة لقلعة السجناء العاديين، بقيت ليلتها في تلك الغرفة وتمددت على الأرض الخالية من الفراش، وكان في الغرفة، مرافق صحية أرضها مليئة بالفضلات لكون مجاريها مسدودة وهناك صفيحة، يمكن إستخدامها لقضاء الحاجة ليلاً، وفي الصباح طرقت الباب وجاء السجان قلت له: أخبر المعاون جمعة أنا الآن بدون فراش ولم أستطع النوم طيلة ليلة أمس، بعد فترة جلب لي السجان الفراش.

مكثت عدة أيام وبدأ عددنا يزداد حتى وصل الى عشرين شخصا في هذه الغرفة الصغيرة. كنا نطرق الباب، طلباً للذهاب الى المرافق الصحية وبدأ الشرطي بالتذمر، وقال بعصبية: (ماذا بكم لا تتحملون، كان في نفس الغرفة هادي هاشم الأعظمي، مقيد بالسلاسل، ومعه أفعى ولا يبالي أبداً)، وللعلم أنه كان قيادي في الحزب الشيوعي سابقاً في زمن عبد الكريم قاسم.

وعندما زاد عددنا في هذه الغرفة، وبلغ حد عدم إستيعابها، تم إعادتنا الى مكاننا السابق، الجناح الأيسر، وكان في الجانب الآخر الجناح الأيمن، عدد كبير من السجناء العسكريين، وبين الجناحين

تتوسط ساحة فسيحة يخرج فيها السجناء لإستقبال الهواء الطلق، والتعرض لأشعة الشمس، ولعب كرة الطائرة، وإجراء التعداد لتثبيت عدد السجناء وتسمى هذه العملية، بالمسطر. وبين وقت وآخر كان يأتي أحد رجال الدين، لإلقاء محاضرة دينية علينا، يحضرها كل السجناء مرغمين.

عندما تيقن مدير السجن بأن لا جدوى من التأثير علينا، في تقديم البراءة، بالرغم من إستخدامه لمختلف الأساليب، ذلك أن سجنه لا يقبل غير المتبرئين، أضطر أن يطلب نقلنا الى سجون أخرى، وبالفعل تم نقلنا من سجن بعقوبة الى سجن الرمادي ونقرة السلمان والعمارة.

وعندما ذهبت لإستلام فراشي وساعتي ومبلغ ثلاثة دنانير، أدخلني الشرطي الى غرفة تتكون من طابقين، صعدنا قسمها العلوي، فتشت عن أمتعتي وعثرت على قسم منها، نظرت الى الأرض وجدت حفرة تؤدي الى الطابق الأسفل، سألت الشرطي عن هذه الحفرة، قال لي هذه غرفة الإعدام، هكذا نقلنا الى محطة القطار ووصلنا بغداد ونحن مكبلين ثم الى البصرة، كان الطريق متعباً، بسبب عدم قدرتنا على الحركة، وربط أيدينا بالمقاعد، وصلنا البصرة وأنتظرنا في موقف التسفيرات، وكان ثلاثة من بين الموقوفين، من عنكاوا، ثم نقلنا بالسيارة الى مدينة العمارة.

وفي الطريق كنا ننشد أغاني سياسية، يسمعنا الركاب الذين كانوا معنا، وكانت معنوياتنا عالية، وكأننا ذاهبون لحضور حفلة عرس وليس الى السجن. وفي سجن العمارة كان أربعة جنود من عنكاوا محكومين، وعند دخولنا السجن أستقبلنا أحدهم وهو بويا يلدا، وللحقيقة أن هذا السجن، كان من أفضل السجون، لإحتوائه على خمس ردهات كبيرة، تتوسطها ساحة واسعة فيها ملعب لكرة الطائرة، فضلا عن وجود مشتملات فيه، كالمطبخ وفرن الخبز والحمام مجهز بالماء الحار وعدد من المرافق الصحية، وخزان كبير فيه حنفيات كثيرة تستخدم للغسل.

كنا نصنع الطعام بالأعتماد على أنفسنا، ونمارس النشاطات الرياضية والثقافية والأجتماعية ، كان الكثير منا، يعمل النمنم بشكل مداليات أو علب وجزادين، وآخرون يقضون أوقاتهم في قراءة الكتب. وكان البعض منا يتجول في ساحة السجن بحرية وأبواب الردهات الخمس مفتوحة ليلاً ونهاراً، وهناك مراسلة مع الأهل ومواجهتهم لنا منتظمة.

زارتني والدتي، بعد إنقطاع طويل، وأخبرتها بأنني أمضيت مدة طويلة في غرف الرياضة، عندما كنت في سجن بعقوبة، قالت لي: (أنت تحب الرياضة، فقد كنت تمارسها في البيت)، أفهمتها ان رياضة السجن تعني التعذيب بهدف أنتزاع البراءة من السجين، قالت بأعلى صوتها ليسمع الآخرون: (أن العمل المنكر أفضل من البراءة).

وكان هذا تشجيع للآخرين، ثم نقلت لي خبر إعتقال وجبة جديدة، تتكون من ثلاثين شخصا، بينهم تسعة أشخاص من عنكاوا، في 24-10-1964، ذلك لعثور الشرطة على ورقة مع الخباز طارق، وبمعيته قائمة بأسماء الذين أعتقلوا.

في سجن العمارة كنت مع ثلاثة سجناء لا أنساهم ابداً وهم: الشهيد محمد أحمد الخضري الذي أغتيل في عام 1970 عندما كان في طريقه لحضور لقاء مع الوفد الكوردي المفاوض في كازينو صدر القناة ببغداد، لمناسبة صدور بيان الحادي عشر من آذار، وبسبب تأثري بحادث أغتياله، والمكانة التي يحتلها في نفسي، حفظت قصيدة الشاعر هاشم كامل العامري التي كتبها لمناسبة أستشهادهِ، والشهيد الثاني الدكتور حبيب المالح الذي كان معي في أربيل ثم في بعقوبة والعمارة، وقد أعتقل عام 1981 وأعدم، والرفيق الثالث فتاح توفيق (ملا حسن) الذي عملت معه في التنظيم

الحزبي وألتقيتهُ في محطات عديدة منها أربيل، بعقوبة، والعمارة ولاحقاً في قاعدة الأنصار ناوزنك، ومن ثم في سوريا ومقرات الحزب في أربيل.

حفظت قصيدتين للجواهري بعنوان "أمين لا تغضب" كتبها ردا على المقالة التي نشرها الكاتب اللبناني أمين الأعور في جريدة الأخبار اللبنانية والثانية "قلبي لكوردستان يهدى ..." كتبها تضامناً وتأييداً لنضال الشعب الكوردي من أجل نيل حقوقه القومية. كما حفظت أيضا قصيدة "البراءة" للشاعر مظفر النواب. وجدير بالذكر أننا لم نتعرض الى أي ضغوطات تحد من حريتنا وحقوقنا كسجناء في سجن العمارة الذي تميز عن السجون الأخرى. وقد زارت لجنة حكومية السجن، قيل أنها تهيؤ لإطلاق سراح السجناء، وبدأت تستقبل السجناء فرداً فرداً، وعندما جاء دوري سألني مسؤول اللجنة، ما هو رأيك في ثورة 14 رمضان؟ أجبته أنها ثورة الردة وأنقلاب أستهدف مكاسب ومنجزات ثورة 14 تموز، غضب من جوابي وعلق ألا تريد أن تخرج من السجن قلت أنا أريد الخروج، لأنني ضحية هذا الإنقلاب، أمرني بالإنصراف، عندها أستقبلت بالتصفيق والهتاف من السجناء.

وهكذا أنهيت مدة محكوميتي البالغة سنتين في سجن العمارة، وفي بداية 1965 جاء قرار إطلاق سراحي وأنتقلت من موقف الى آخر بدءاً من موقف العمارة مرورا بالبصرة وبغداد وإنتهاء بكركوك، وهنا تم أستدعائي في دائرة أمن كركوك وبعد التحقيق البسيط طلبوا مني كفيل، ولم يكن من يكفلني في كركوك، لذلك تم نقلي الى أربيل وهناك بدأت دائرة الأمن تطلب التوقيع على البراءة كشرط لإطلاق سراحي، فرفضت.

كانت الأمورقد تعقدت وأستؤنف الإقتتال في كوردستان العراق، فأحالوني الى مديرية الأمن العامة في بغداد التي وصلتها بعد أربعين يوماً على قرار إطلاق سراحي. كان في المديرية ثلاثة مكاتب للتحقيق، المكتب الاول مختص بالتحقيق مع الشيوعيين ويقودهُ ضابط الأمن محمد صالح ومعاونهُ عزالدين لافي، الذي بدأ بالتحقيق معي وتعذيبي وربط يديّ في السقف وكان تحت قدمي مقعد، قال سأسحب المقعد وتبقى معلقاً، قلت له هذه الاساليب غير مقبولة ويرفضها رئيس الجمهورية، أجاب لو كان نفسه عبد السلام هنا لأتبعت معه نفس الأسلوب، أطفأ الضوء وأغلق الباب وعاد بعد خمس دقائق وفك يدي المقيدتين، وطلب مني ان أوجه السباب والشتائم الى أسرائيل والإستعمار، بقصدية إيصالها الى الحزب، لذا رفضت ذلك. قال كيف لا توجه الشتائم لاعدائنا، قلت تربيتي لا تسمح لي بذلك، حتى لأعدائي، عندها بدأ بالضرب والسب، وهو يقول أنعل لأبو هذه التربية، ثم حبسني في دولاب وأغلق بابه عليّ، وبعد فترة قصيرة، جاء أحد أفراد الأمن، يركل باب الدولاب برجلهِ ثم فتحهُ وسألني ماذا تعمل هنا قلت أسئل المعاون، بعدها نقلت الى توقيف دائرة الأمن، وفي الطريق فرغوا صحيفة الزبالة برأسي وراحوا بمسحون وجهي بحذاءهِم. دخلت الموقف بإنتظار يوم غد. وفي صباح اليوم التالي أستدعيت للتحقيق وكان عز الدين لافي حاضراً، طلب مني توقيع البراءة وتوجيه الشتائم الى الرفيق فهد، رفضت ذلك، فسألني ماذا تعملون في السجن، جاوبته نمارس الرياضة وأحيانا نلعب الشطرنج، قال أريد منك معلومات عن التنظيم الحزبي، قلت له لا علاقة لي بذلك أبداً، ثم سئلني، هل أنت شيوعي، قلت كلا. أستمر التحقيق لبعض الوقت، ذهب وعاد ومعه شخص كوردي أسمه عبد الواحد الذي بدأ يتحدث معي باللغة الكوردية في محاولة منه إقناعي بكتابة ورقة أوضح فيها عدم إنتمائي الى الحزب الشيوعي، وتشبه كتابة التعهد أو قريبة بعض الشيء من البراءة، قال لي: (هذا ما فعلته أنا وسيفرج عني)، وطالبني أن أحذو حذوه، لنخرج كلانا معاً من دائرة الأمن العامة في بغداد، وأخيراً قلت له وبحضور ضابط الأمن؛ (لا أجد أي ضرورة لكتابة هذا التعهد. أنصرف بعدما، وصل الى قناعة

في عدم جدواه معي، فأحالوني الى مدير المكتب الأول الذي بدأ بطرح عدة أسئلة مكتوبة على ورقة، طالبا مني الإجابة عليها، وهي: 1- هل أنت شيوعي، وما رأيك بالحزب الشيوعي؟ 2- ما رأيك بالحكومة؟ 3- ما رأيك بالقضية الكوردية؟ ...وغيرها من الاسئلة، كان جوابي بالنفي على كل الأسئلة المطروحة، ثم قال يجب أن تبدي رأيك وإلآ فأنا سأكتب طلباً الى رئيس الوزراء طاهر يحيى، لإبعادك أو حجزك ثانية، حاولت إثارة عواطفهِ قلت له، أنا طالب وأمامي مستقبل وعائلة تنتظرني ومسؤول عن إعالتها، وقد حكم عليّ وأنتهى حكمي، وأعتبرني مثل أحد أولادك، أجابني أنا لا أقبل ولدا مثلك حتى ليوم واحد، ثم طلب أن أختار أحد الأماكن للنفي أو الحجز، وخيّرني بين نقرة السلمان وبين عين تمر (شثاثة) أو الحضر، قلت له أنا لا أريد أي منها، ألح بشدة وقال إذا لا تختار مكاناً منها فسوف نتصرف كما نشاء، وأخيراً، عندما شعرت أنه إنسان مجرد من المشاعر والأحاسيس، قلت له أختار نقرة السلمان ما دمت مصراً على نفي وإبعادي، علق قائلا: (تريد تروح الى كلية الشيوعيين)، قلت له: أنت تجبرني على ذلك، هكذا كانت النهاية.

عدت الى التوقيف وبعد أيام قليلة نقلت في سيارة للأمن الى معتقل خلف السدة، وكنت مكبل اليدين ومعي في نفس السيارة الرفيق طيب الذكر عزيز سباهي (أبو سعد) الذي بدأ يشجعني ورفيق آخر اسمه مصطفى. وصلنا الى معتقل خلف السدة الذي أنشيء أساسا لتدريب الشرطة، لكنه تحول بعد ذلك الى معتقل، وكان فيه عدة أقسام ومسيج بأسلاك شائكة، لمنع الإتصال بين الموقوفين، جاءت والدتي لزيارتي وأقترحت عليّ إعطاء مبلغا قدره ثمانين دينارا، لوسيط لقاء إطلاق سراحي، وبعد إستشارة الرفاق، وافقوا وأخبرت والدتي بذلك، وعندما سألتها كيف ستدبرين هذا المبلغ، أجابتني: الله كريم ..وهكذا عادت وسلمت المبلغ الى الوسيط ولكن دون جدوى، ذلك أن هذه الوساطة، لسوء حظي، لم تأت في وقتها المناسب، كما أخبرها الوسيط الذي أعاد لها المبلغ، أو ربما لأن الشخص الثالث، لم يعد في موقعه السابق.

بعد أربعين يوماً أمضيتها في خلف السدة، جاءت سيارة الأمن لنقلي من المعتقل، وعندما سألتهم عن الجهة التي يأخذوني اليها؟ أجابوا أنت مطلق السراح، ولقاء ذلك نريد منك هدية، أي مبلغا من المال، لم أصدق ذلك، حاولت التأكد طلبت منهم الكتاب الذي يتضمن هذا القرار، رفضوا في البداية، ولكنهم بعد ذلك، سمحوا لي بقراءته، واذا به يتضمن قرار نقلي الى موقف التسفيرات في بغداد، ويخلو من أي إشارة الى إطلاق سراحي. فتغير موقفهم، لعدم إنخداعي بكذبتهم، وعدم حصولهم على ما أرادوه مني. وبدأوا بالضغط علي وتوجيه السباب والشتائم، كان ردي عليهم أنكم مأمورين فقط بنقلي من مكان الى مكان آخر ولا أقبل بأي تجاوز، وبعكسه سوف أصيح بصوت مرتفع، فخففوا من لهجتهم القاسية. وصلت موقف تسفيرات بغداد، وبعد أيام نقلت بسيارة الى كربلاء وكنت مقيداً مع أحد البعثيين في نفس السيارة.

دخلت الموقف، كان هناك جماعة من الموقوفين يتناولون وجبة الغداء المكونة من سمك مع رز، دعوني لمشاركتهم في الأكل جلست معهم بخجل، ولم أكن مرتاحاً في الأكل بسبب القلق الذي كنت أعاني منه. سألني أحدهم عن أسمي ومكان توجهي، قلت له الى عين التمر لكوني مبعد سياسي، كان له ملاحظات سلبية عن المكان وأضاف حاول تغيير أسمك الى أسم غير مسيحي. لم اقتنع بكلامه.

وفي اليوم الثاني جاء شرطي وأخذني الى مكتب النقليات. ركبنا السيارة المتوجهة الى قضاء عين التمر، وبعد ساعتين من السير في طريق رملي، وصلنا الى هذه المدينة، وحال وصولنا نادى الشرطي الذي كان معي على حرس مركز الشرطة لإستلامي، وسمعت الحارس يقول لقد وصل حنا، دخلت المركز ومكثت في موقف مركز الشرطة، لعدم وجود مكان آخر للمبيت فيه. وفي

الصباح ذهبت الى السوق صحبة أحد أفراد الشرطة لشراء بعض المواد للغذاء اليومي، ويتكرر ذلك يومياً، أبتاع الخبز وبعض الخضراوات واللبن وأحياناً البيض. لم يكن معي من النقود، ما يكفي لتلبية حاجياتي، لذا كنت ألجأ الى شراء الحاجات الضرورية فقط، لحين إستلام المخصصات الشهرية والتي تبلغ ربع دينار يومياً، وقد تأخرت المخصصات خمسة أشهر كاملة، بعثت برسالة الى الأهل أخبرتهم بتفاصيل وضعي وحاجتي الى بعض الأشياء مثل الملابس والراديو وبعض المواد الغذائية الأخرى، لم أكن أعلم أن مياه ناحية عين التمر غير صالحة للشرب، شربت منه مرة وأصبت بإسهال شديد أستمر لثلاثة ايام.

ناحية عين التمر، تشبه واحة خضراء محاطة بأراضي رملية، فيها عيون مياه كبيرة وأخرى صغيرة، أذكر منها عين السيب وعين الزرقاء، ذهبت مرة الى مكان وجدت المياه تخرج من تحت الأرض وتتدفق بشكل متقطع، قيل لي أنه يصلح للأمراض الجلدية، كما أنها تستخدم لسقي المزارع، وأسم الناحية، بحد ذاته، يشي بأنهاغنية بالتمر، حيث تكثر فيها أشجار النخيل، ولأول مرة تناولت الجمار، وهو لب شجرة النخيل، ولم أكن أعرفه سابقاً.

إن اغلب سكان الناحية من الفلاحين ويعتمدون في غذائهم اليومي على ما يزرعونهُ، بالإضافة الى تربية الجمال. كما وفيها بعض الأبنية الحديثة مثل المستوصف، المكتبة، المدرسة، وبناية الناحية. أما البيوت الأخرى مبنية من الطين، وفي الناحية شارع واحد فقط وبعض الدكاكين ومخبز ومقهى، وفي بناية الناحية تتجمع عدة دوائر، مثل مركز الشرطة ومدير الناحية ودائرة النفوس والبرق والبريد.

ذات ليلة كنت نائماً قرب بئر تقع في ساحة بناية مركز الشرطة التي كنت محجوزا فيها، وإذا بقطة تخرمش رأسي بمخالبها، نهضت خائفاً ومن ثم عدت للنوم، وبعدها سمعت صوت الشرطي يناديني لأنهض، وكنت أتصور أنني في حلم، وقد فوجئت بوالدتي وأختي، وفي ساعة متأخرة من الليل، وهما في مركز شرطة ناحية عين التمر التي تبعد مئات الأميال عن عنكاوا.

لا أدري في تلك اللحظة ماذا حل بي، والمشاعر التي داهمتني، وأقرب الناس في الغربة، يزوروني في هذا الوقت المتأخر، والمكان النائي عن بلدتي، هل أبكي فرحا؟ أم أنادي بأعلى صوتي، لأوقظ في صمت هذا الليل البهيم، كل النائمين في مدينة عين التمر، وأخبرهم، بأن أمي وأختي، موجودتان هنا، هنا في مدينتكم.

وتذكرت خربشة القطة، وتسائلت، ترى هل كانت تعرف بقدومهما، وعلى ذلك أيقظتني؟ غالبا ما يحدث في الروايات، مثل هذه الإيحاءات التي قد لا يصدق القارئ، حدوثها على أرض الواقع، ولكن ها هي تحدث، وعلى مرآي.

لم أعد أعرف كيف أتصرف، كنت فرحا، وفي الوقت ذاته قلقا. أدخلتهما غرفة التوقيف، كان الإرهاق، باديا على ملامحهما، لذا أرتأيت ان أوفر لهما راحة النوم قبل كل شيء، فهيأت لهما الفراش الموجود في الموقف، على ندرته.

عندما نهضنا في الصباح وطلبت والدتي الشاي، وأخبرتها بأني لا أ شربه منذ شهرين لوضعي الأقتصادي المتردي، تأثرت كثيرا وبكت بحرقة، لذا فقد أرغمتني أن أذهب معها الى السوق، لكي نشتري طباخ نفطي صغير، وأدوات الشاي والطبخ، وبعد مرور شهرين ذقت طعم الشاي، وكأنني أشربه لأول مرة في حياتي. طبخت والدتي لنا الحبية وأكلنا بشهية، أمضيت بضعة أيام جميلة معهما ثم ودعتهما، وعند العودة شاهدت والدتي تبكي وهي جالسة في السيارة، لكنني رغم تأثري الكبير، تمالكت نفسي، لكي لا أظهر نفسي أمامها ضعيفا، ولا أثقل من همومها ومعاناتها.

أثنان من الشرطة الكرد، وبعض الموظفين، بين فترة وأخرى أقوم في زيارتهم. وهذا ما يبعث على أرتياحي. مدير الناحية بعثي سابق، ومفوض الشرطة أبو عامر مسلكي ومرتشي، حتى أنه خصم من مخصصاتي لخمسة أشهر، سبعة دنانير، وفي الناحية كان الكثير من الناس الطيبين أذكر منهم الخباز الذي كنت التقي به يومياً، وشغوف في قراءة الشعر، وغالبا ما نقضي أوقاتنا في مطاردات شعرية، ومدير المدرسة أبو أحمد كان بيته مقابل بناية مركز الشرطة، وذات يوم أقترب مني وبدأ يسأل عن وضعي وصحتي ثم مد يده ووضع شيئاً في جيبي كنت أتصور أنه بيان أو ورقة فيها أخبار، حاولت معرفة ذلك قال أذهب الى الغرفة وتعرف على ما بداخل الظرف، أكتشفت أنه وضع دينارين في جيبي. وعندما ألتقيته ثانية شكرتهُ وقلت له أني غير محتاج، أجاب نحن مقصرين بحقك ويجب أن نساعدك شهرياً، ثم أنتقد موقف بعض المعلمين المحسوبين على ملاك الشيوعيين المنقولين إدارياً الى هذه الناحية وقال انهم يخافون من تقديم المساعدة.

ومرة ذهبت الى السوق لشراء الطماطة، أخذ البائع الكيس من يدي ووضع كمية من الطماطة فيه، ورفض أخذ ثمنها، سألته عن السبب قال أثنان من إخواني أعدما عام 1963 وهما شيوعيان فكيف أقبل أن تدفع ثمن الطماطة، تفضل كل مرة ونحن بالخدمة، وكان معي أثنان من البعثيين، الأول هو سامي ماهود الربيعي من العمارة، وذات يوم وجدته في غرفة التوقيف سألته عن السبب، قال أضربت عن الطعام وحاولت الإنتحار، عاتبته على ذلك، مستغلا الحوار الدائر بيننا، للحديث عن موقف البعثيين من الشيوعيين، قلت له نصا: (وماذا نفعل نحن وقد عملتم الكثير بحقنا، وأنا واحد من الضحايا)، علق: نحن أجرمنا بحق الشيوعيين ومهما فعلنا مستقبلاً فلا نعوض، وكان يحسب نفسه من يسار البعث ومن جماعة علي صالح السعدي، والثاني سعد قاسم حمودي الذي كان يعمل في مجال الصحافة وأثناء لقاءاتنا كان يتحدث عن زياراتهِ لمصر وبعد شهرين تم الافراج عنه.

نقل مفوض الشرطة أبو عامر، وجاء المفوض الجديد شاكر بدلا منه، وهو شاب وخريج دورة المفوضين، صادقتهُ من أول يوم قدومهِ وأستلام وظيفته، بلغت صداقتنا حدا، بات أكلنا مشتركا، كما أحيل عريف الشرطة الى التقاعد وأصبحت غرفته فارغة، وتحولت للسكن فيها، كان في الغرفة أضابير وتقارير قديمة كثيرة منذ العهد الملكي وتخص الشيوعيين، وكنت أحيانا أقلب بعض هذه الاوراق وأقرأ ما فيها من التقارير، وأذكر مرة أني قرأت عن الشهيد وعد الله النجار. طلبت من المفوض شاكر وضع هذه الأضابير في كيس كبير، ونقلها الى مكان آخر، خاصة وأنهم لا يستخدمونها أو يعودون اليها كمرجع وقد، وافق على طلبي وبذلك أصبحت الغرفة التي أسكنها مرتبة ونظيفة.

كنت والمفوض شاكر نذهب الى عين السيب للسباحة، خاصة في أيام الصيف، كان يحدثني حتى عن قضاياه العاطفية، وكيف أنه يريد الزواج من فتاة يحبها غير أن والديهِ يعارضانه، ويؤاثران زواجه من أبنة عمهِ. جاء والداه مرة الى عين التمر فدعوتهما للغداء وفاتحتهما بالموضوع وتمكنت من إقناعهما في زواجه من الفتاة التي يحبها، وهذا ما حصل. وكنت أحياناً أذهب الى غرفتهِ في مركز الشرطة، وأرد على الهاتف، حتى في حالة عدم وجوده، منتحلا صفة كاتب مركز الشرطة، وأستلم البرقيات من الشخص المتكلم في الطرف الآخر، وأسجل ما أستملته.

كان معي مذياع، لمتابعة الأخبار من بعض الإذاعات، وعلى نحو خاص من إذاعة صوت الشعب العراقي، فضلا عن إذاعتي موسكو ولندن. ومفوض الشرطة شاكر شغوف بأم كلثوم ولا يسمع إلآ أغانيها، ولا علاقة له بالسياسة. كنت أتردد الى المكتبة وأستعير منها بعض الكتب والمجلات خاصة مجلة الوقت المصرية وطبيبك والمختار والصحف، إذ كان لدي الوقت الكافي للمطالعة، وكذلك الى مستوصف الناحية، وكان الدكتور مفيد يرتاح كثيرا لهذه الزيارات.

أرتاد السوق من حين لآخر، ويصادف بعض المرات، أن أمر أمام مقهى (أبوعباس) لوقوعه على الطريق المؤدي الى السوق. وكان صاحب المقهى، لتعاطفه مع الحزب، وإحترامه للمنضوين تحت لوائه، يدعوني في كل مرة، يلمحني مارا من أمام المقهى؛ لشرب الشاي. كما وكان في الناحية أثنان مبعدان من خانقين وهما محمد وابراهيم، بقضايا التهريب يترددان الى مركزالشرطة يوميا لإثبات وجودهما، ويحاولان لسبب، ما زلت أجهله، الإقتراب مني للحديث معي.

كما لو كانت ناحية عين التمر، مقرا للمنفيين، أو ملجأ للسياسيين، وغير السياسيين؛ فقد شهدت، نفي أكثر من خمس وعشرين شخصا من الكرد، بسبب أرتباطهم بالقضية الكوردية، وكان من بينهم شخصيات كوردية معروفة، أذكر منهم السيد فؤاد عارف الذي أصبح فيما بعد نائبا لرئيس الوزراء في زمن عبد الرحمن البزاز، وكذلك السيد أحمد كمال قادر الذي اصبح وزيراً لإعمار الشمال، والسيد زيد أحمد عثمان، والمحامي محمود حمزة، وغيرهم الذين كانوا يأتون يومياً الى مركز الشرطة، لإثبات وجودهم، وألتق بهم، وفي إحدى المرات سألني السيد فؤاد عارف عن قضيتي وسبب إبعادي، شرحت له ذلك بالتفصيل، أستغرب، وعلق قائلاً: (هذه المسألة لا تستوجب كل هذه الإجراءات ضدك الا يوجد لديك واسطة؟)، أجبته بالنفي، أما المحامي محمود حمزة فقد بقى معي في نفس الغرفة ليومين، أطلع على كامل قضيتي، ووعدني بتبنيها والدفاع عني.

كانت والدتي تزورني بين وقت وآخر تتحمل متاعب الطريق، وهي أمية لا تتقن اللغة العربية، وفي إحدى الزيارات كانت قد طبخت كبة موصلية، وزعت قسما كبيرا منها على موظفي الناحية، أكلوا بشهية، وسألوني عن كيفية عملها وهي أكلة غريبة عنهم. وبعد عودة والدتي كتبت رسالة الى السيد أحمد كمال قادر، حيث كان قد أطلق سراح مجموعة من المعتقلين الكورد، وتم تنصيبه وزيرا لأعمار الشمال، ذهبت والدتي لمقابلته وسلمته الرسالة وبعد الإطلاع عليها قال أبنك شيوعي، وغير متهم بقضايا الشمال. وكان هناك شخص جالسا معه، حثهُ على التدخل، لكنه رفض.

في وقت آخر أرسلت رسالة الى المحامي محمود حمزة ذكرتهُ بوعدهِ، أجابني برسالة مرفقة بنموذج طلب مني ان أكتب مثله، وكان في واقع الأمر أسوء من البراءة، فيه الكثير من الكلام ضد الشيوعية. وقد أرسلت له الجواب وقلت أنا لا أريد ان يفرج عني بهذا الثمن البخس، وقد سبق وأن تم مطالبتي في دائرة الأمن بأقل من ذلك بكثير، وشكرتهُ. كما كتبت رسالة الى السيد فؤاد عارف الذي عين نائبا لرئيس الوزراء، هنأته على تحمل هذه المسؤولية الوطنية وذكّرتهُ بقضيتي التي شرحتها له عندما كان في عين التمر، وبأختصار قلت أنك وعدتني وإن وعد الحر دين وبإمكانك وضع حد لمعاناتي وحل مشكلتي بحكم مسؤوليتك الحالية.

أعطيت الرسالة الى والدتي التي عادت الى بغداد وذهبت الى نقليات السليمانية، حيث كان أحد أصدقائي وأسمه حمه، يعمل في هذا الكراج، وكان ضمن مجموعة المبعدين الى عين التمر. كتبت له رسالة، ومعها قنينة شراب، أخذتهُ والدتي له، وضع القنينة على رأسهِ وبدأ يرقص فرحا، ووعدها أن تأتيه في اليوم الثاني، ذهبت اليه في الصباح الباكر ليوصلها الى بيت فؤاد عارف في بغداد، وتم ذلك بالفعل، وأستقبل السيد فؤاد عارف والدتي بالترحاب، وجلب لها الفطور، وقرأ الرسالة، ووضعها على رأسهِ، وقال أبنك واحد من أبنائي ، عودي الى بيتكِ مطمئنة ومرتاحة البال والباقي عليّ، وسأقوم بما هو مطلوب مني.

كنت عائداً من السوق قريبا من مقهى أبو عباس، سمعت صوت مدير الناحية يناديني، أقتربت منه قال لي أذهب الى المكتبة هناك جريدة فيها أسماء الذين تم إطلاق سراحهم بقرار من مجلس

الوزراء ومن ضمنهم أسمك، وبالفعل توجهت الى المكتبة مسرعاً أستلمت الجريدة قرأت الخبر بشوق ولهفة لعدة مرات، فرحت كثيراً، وشاركني في فرحتي مسؤول المكتبة وكل من سمع الخبر في ناحية تمر.

بهدف توديع وتقديم الشكر للذين أرتبطت معهم، في صداقة، فترة إقامتي الجبرية في عين التمر؛ بادرت رغم عددهم الكبير، بزيارتهم فردا فردا. ولا بد لي أن أشير الى أنني كنت قد أشتريت مروحة بالأقساط، ذهبت الى صاحب المحل، قبل مغادرتي لعين التمر، لتسديد ما بذمتي وأعيد المروحة اليه، لكنه رفض إستلام المبلغ.

وتزامن قرار إطلاق سراحي مع حرب حزيران عام 1967، ورافقني في رحلة تسفيري، أحد أفراد الشرطة الى مدينة أربيل، هذه الرحلة التي قطعناها في عدة مراحل، حيث كنا نبقى عدة أيام في مراكز شرطة المدن التي نمر فيها، إبتداء من مركز شرطة كربلاء، مرورا بمركز بغداد وكركوك، وإنتهاء بمركز مدينة أربيل. في دائرة أمن أربيل، طلبوا مني، إعادة التوقيع على البراءة شرطا لاطلاق سراحي، فرفضت، إلآ أن المرحوم جورج هرمز، توسط لدى مدير الأمن الذي وافق اخيراً على الإفراج عني بكفالة.

لحجز محل والدي الخاص في بيع المشروبات بأربيل، حيث أصبح معيلنا الوحيد، عاطلاً عن العمل ولا يقوى عن أداء أي عمل آخر، المتزامن مع إطلاق سراحي؛ بدأ وضعنا الإقتصادي يتجه نحو التدهور، ما دفع بأخواتي لأن يعملن في صنع الحصران، ووالدتي في تقطير العرق من التمر، لسد حاجة والدي الذي أعتاد على الشرب يومياً، وبيع قسما منه، لسد نفقات العيش، علاوة على تربية الدجاج وبقرة تدر الحليب للإستهلاك اليومي.

كان يمر يوميا، شخص لا أعرفه من أمام بيتنا، ما جذب إنتباهي، وشعرت أنه يراقبني، سألني مرة، عن سبب جلوسي لفترات طويلة أمام باب المنزل، أجبته، لأني كنت محروماً منه عدة سنوات وأنا أشعر الآن بحاجة ورغبة للبقاء فيه. ولعل هذا الحوار الدائر بيننا، حثني لأسأله بدوري أنا الآخر عن هويته، بوصفه غريبا على المنطقة، أخبرني بكل صراحة، أنه أحد أفراد الأمن المكلف بمراقبتي. وعندما لمست منه هذه الصراحة، دعوته لشرب الشاي، فأستجاب لطلبي، ومن خلال الحديث بيننا، تبين أن والدي يعرف والده، وقبل أن يغادرنا قال: (أن مهمتي هي مراقبتك وطيلة هذه المدة لم ألاحظ أي تصرف مخالف منك، وأنا سأكتب تقريراً بما يمليهِ عليّ ضميري.

بدأت أشعر بضرورة العمل لسد متطلبات العيش، أشتغلت في أول الأمر عاملا في مجال البناء، ثم جاءتني فكرة فتح محل لبيع الحلويات للأطفال، ولم أكن أملك، سوى ثلاثين دينارا، وفرتها في عين التمر، أيام كنت محجوزا فيها، ولأنني كنت بحاجة الى عشرين دينارا، ليتسنى لي فتح المحل، فقد أقترضت هذا المبلغ، وباشرت بالعمل.

على هذا النحو، تشرع كل البدايات، من أبسط الأشياء، وأحيانا من الصفر، تذكرت المثل الصيني القائل إن مسافة الف ميل تبدأ بخطوة. وإنطلاقا من هذا المثل، رحت أفكر بتطوير المحل بإضافة مواد أخرى فيه، مثل المشروبات الغازية ومرطبات ومواد الغسيل، وفي وقت لاحق حصلت على إجازة مصلحة المبايعات الحكومية لبيع السكر والشاي والدهن، وكنت أذهب شهرياً الى الموصل لغرض أبتياع مواد أخرى كالراشي والزيتون والكرزات الموصلية، بحيث أمتلأ المحل بالبضاعة وأصبح بأمكاني تلبية طلبات الزبائن، وبدأ وضعنا يتحسن، وتزوجت اثنتان من أخواتي وتم تعيين الثالثة معلمة في إحدى القرى التابعة لأربيل.

كان بيتنا مبني من الطين واللبن، وكنا نعاني في موسم الشتاء من المطر الذي يتسرب الى داخله، لذلك بنيت غرفة واحدة من السمنت كحل وقتي، كما تطورت عنكاوا من حيث البناء العمراني، وأزدياد عدد موظفيها وعلى نحو خاص المعلمين، فضلا عن عدد المدارس، وبناء مستوصف صحي، وبلدية، ووصول المياه الى البيوت، وإنتعاش حركة التجارة الى حد ما، مع أربيل، من خلال نقل المواد بالسيارات، وأفتتاح نادي للموظفين، والمكتبة العامة، وجهزت البيوت بالكهرباء. كما تم إفتتاح بعض الشوارع الفرعية، وبالمجمل، يمكن القول، أنه قد طرأ تحسن ما، في وضع الناس أقتصادياً وأجتماعيا وثقافياً، عبر مبادرة أهالي البلدة، في إرسال أبنائهم للدراسة في جامعة بغداد، وفي وقت لاحق جامعتي الموصل والسليمانية، وكذلك في زمالات دراسية الى خارج العراق وحصلوا على شهادات دراسية في مجال الطب والهندسة وغيرها.

2

وفي عام1967 حدث إنشقاق في صفوف الحزب الشيوعي العراقي، بين تنظيمات اللجنة المركزية، بقيادة الرفيق عزيز محمد، وتنظيمات القيادة المركزية، بقيادة عزيز الحاج، أرتآى تنظيم عنكاوا بكامل أفراده الإنضمام الى تنظيمات القيادة المركزية، جاءني الرفيق فرنسيس حنا (أبو شاخوان) الذي كان نصيراً، فاتحني بالعودة للعمل في تنظيمات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، أتصلت بثلاثة رفاق، بهدف إعادة بناء التنظيم، جاءنا المشرف ملا بكر وعقدنا الإجتماع في بيتنا، إلآ أن الرفاق الثلاثة، أنسحبوا، فبقيت وحيدا في التنظيم، ما دعا في نقلي الى تنظيمات أربيل.
تحركت نحو بعض الأصدقاء وبدأت أزودهم بأدبيات الحزب وأستلم منهم التبرعات شهرياً، وكانت هذه الخطوة الأولى، سعيا لبناء التنظيم من جديد، والخطوة الثانية، كانت في عام 1970 من خلال مشاركتنا في إحتفالية مئوية ميلاد لينين المقامة في جارداغ، وكان عددنا لا يتجاوز على عشرة أشخاص، بين الرفاق والأصدقاء الذين حضروا هذه الإحتفالية من عنكاوا. وفي العودة تم استدعاء الرفيق يوسف شعيا، لأنه عند مرورهِ قريباً من محافظة أربيل، مد يده من السيارة، وهتف بحياة لينين، مع أنه كان يعمل في سلك الشرطة.
وبعد صدور بيان الحادي عشر من اذار، شاركت مجموعة من الرفاق والأصدقاء في الإحتفالية المقامة في ملعب الإدارة المحلية. وفي اليوم الثاني شاركنا بفعالية كبيرة في إحتفالية داراتو المقامة لهذه المناسبة أيضا، ولكن الديمقراطي الكردستاني، منع على ممثل حزبنا قراءة كلمة الحزب، تجنبا للإصطدام، وعدم إثارة المشاكل، أضطررنا الإنسحاب، بعيدا عن إحتفال الديمقراطي، وشكلنا حلقة، وألقى ممثل الحزب كلمتهُ، وبالرغم من تعرضنا الى بعض المضايقات، ولكننا تجاوزناها، تجنباً من تطور الموقف الى ما لا يحمد عقباه.
ولمناسبة تأسيس الحزب، أحتفلنا في منطقة برزيوه، وكان عدد الحضور كبيراً، حيث ألقيت كلمات وقدمت فعاليات فنية، وكان العديد من العوائل قد جلبوا معهم الأكل والشرب إبتهاجاً بهذه المناسبة، وفي العودة تعرضت سيارتنا الى بعض المضايقات، وأحتفلنا مرة أخرى بعد مرور عام على هذه المناسبة، عائلياً في منطقة جيناروك.
وفي عام 1972 شاركتُ لأول مرة في مظاهرة، لمناسبة الأول من ايار في أربيل، تجمعنا في إحدى الساحات، ومنها أنطلقنا بمسيرة في شوارع أربيل، رافعين اللافتات، وتوجهنا نحو بناية محافظة أربيل، وفي مناسبة ثورة أكتوبر أقمنا تجمعا في بيت العامل بويا سمو حضرهُ أربعون شخصا تقريبا، تحدثتُ فيه عن ثورة أكتوبر، وشاركني في الحديث عدد من الحاضرين، كما قام

الرفاق في عنكاوا بإلصاق شعارات على جدران البيوت، تطالب بإطلاق سراح الشيخ علي البرزنجي، وشارك أتحاد الطلبة العام في هذه الفعالية.
وفي عام 1973 طلب الرفاق في محلية أربيل، أن أهيء نفسي للدراسة الأكاديمية في إحدى الدول الاشتراكية، إلآ أنني أعتذرت بسبب أن ظروفي لم تكن مساعدة، وعلى نحو خاص، فيما يتعلق بإعالة والديّ، وشقيقي الأصغر، إذ كنت الشخص الوحيد المكلف بذلك. وفي العام نفسه، تم إفتتاح معهد إعداد المعلمين وباللغة الكوردية في أربيل، أستوعب هذا المعهد الكثير من خريجي الأعدادية الذين لم تتوفر لهم فرصة العمل والدراسة.

بدأتُ الدراسة في هذا المعهد، وعانيتُ من بعض الصعوبات في أول الامر، بسبب دراستي سابقاً باللغة العربية، غير أنني تجاوزتها بمواصلة السعي والإجتهاد، كانت النتيجة في النهاية، أن كنت الأول على الصف، والثاني في المعهد، وعند التقدم للتعيين أصبحت الأول، لذا فقد عينت في قرية نوغران التابعة لناحية كوير. كنت أذهب يومياً الى المدرسة، وأعود الى البيت، ولم يؤثر ذلك على تأدية أعمالي الأخرى، غير أنه شكل عبئا أضافيا.

وذات مرة عقد إجتماع موسع للمعلمين، حضرتهُ وتحدثتُ عن النواقص التي تعاني منها المدارس، وقلت نصا أن الحكومة التي انجزت وحققت أهم المكاسب، وهي تأميم النفط، قادرة على حل مشاكل المدارس التي تبدو سهلة جداً، وأبسط ما تكون، قياساً بتلك المنجزات، ولكن هناك تقصير من الأجهزة الإدارية، سكت الجميع ولم يعقب أحد، غير أن مدير ناحية كوير، بعد أيام، أرسل طلباً لحضور مدير المدرسة أمامه، وجاءني المدير ليخبرني بضرورة حضوري معه، بيد أنني رفضت، ذلك في عدم كوني مديرا للمدرسة. وكانت المفاجأة، عندما حضر أمام مدير الناحية، أخبره بأنه ليس المعني، وإنما المعلم الذي تحدث في الاجتماع. وكان قد سأل مختار القرية عني وعن دوامي ورأي الناس بشخصي، كان جواب المختار إيجابيا ، هذا ما أخبرني به مدير المدرسة.

كان ممثل مكتب المعلمين التابع للحزب الحاكم، يرتاد بين وقت وآخر الى المدرسة، ويجتمع بالمعلمين، ويفرض عليهم الإنتماء الى هذا المكتب، وعندما فاتحني قلت له أنا شيوعي، فطلب مني مغادرة الإجتماع مباشرة. وكان مدير المدرسة، غير منتم الى هذا المكتب أيضا، وكما يبدو كانت هناك ضغوطات عليه، لذا جاءني، طالبا النصيحة، قلت له بالأمس كنت مقاتلا في صفوف البيشمركة، أنىّ لك أن تغير من قناعاتك وأفكارك بهذه السرعة، ذلك أن مسألة الإنتماء، ليست بهذه البساطة، ليست ببساطة تغيير قميص بآخر، ومع ذلك أنت صاحب القرار، ولو كنت مكانك لرفضت ذلك كلياً. بالرغم من إحمرار وجهه، بفعل وقع كلماتي وتأثيرها عليه، إلآ أنني عرفت، بعد فترة قصيرة، أنه قد أنتمى الى مكتب المعلمين.

كان الإتفاق بين الشيوعيين والبعثيين بعدم العمل في وسط العائدين الذين تخلوا عن السلاح، لكن حزب السلطة لم يلتزم به. إذ بدأ بالتحرك نحوهم، مستغلاً حالة إنكسارهم وشعورهم بالضعف، بسبب الهزيمة النكراء، وكان الإتفاق مجرد تكتيك لصد الشيوعيين الإحتكاك بهم.

في الثامن تموز 1975 تزوجتُ من السيدة سليمة رحيم، أقمنا حفلاً رائعاً حضرهُ بحدود خمسمائة شخصا، وشاركنا الأفراح رفاق من الأقليم ومحلية أربيل، وأمضينا ليلة ممتعة تخللتها الرقص والدبكات والأغاني والشرب والأكل، أستمرت لثلاثة أيام.

كان والدي طريح الفراش بسبب إصابتهُ بمرض السرطان في الحنجرة، أخذناه للعلاج، مكث لأسابيع في أحد مستشفيات الموصل، وفي مستشفى بغداد تلقى العلاج الكيمياوي. قالوا الأطباء أنه سوف يعيش لخمس سنوات، ولكنه توفي في نهاية عام 1975.

في عهد الجبهة الوطنية، توسع التنظيم الحزبي في عنكاوا، ما دفعنا الى تكوين منظمات ديمقراطية، مثل رابطة المرأة العراقية وأتحاد الشبيبة الديمقراطي وأتحاد الطلبة العام الذي كان أكثر نشاطاً من بقية المنظمات وكان يقودهُ طيب الذكر منعم العطار.
في أحد الأيام تلقينا دعوة، لمناسبة تأسيس الجيش العراقي ومعنونة بأسم أتحاد الطلبة العام، حضرت برفقة مجموعة من الطلبة والشباب، مكان الإحتفال، حيث أقيم في أحد معسكرات أربيل، أطرب صوت الفنان سالم شعيا، في تلك الليلة، كل الحاضرين، وصفقوا له طويلاً.

كما أقام أتحاد الشبيبة معرضاً للأعمال اليدوية في مكتبة عنكاوا، وزارهُ الكثير من الشباب ولعدة أيام وبيعت معظم معروضاته، وكان للحزب مختصة تهتم بشأن الكلدان الآشوريين السريان، ويقودها الرفيق طيب الذكر توما داود القس (أبو نضال)، تضم في صفوفها، ممثلون من أربيل وكركوك والموصل وكنت عضوا فيها، وأيضاً شكلنا في عنكاوا لجنة تتكون من أربعة أعضاء تضطلع بنفس المهام، نجتمع بشكل دوري، ونرسم خطط للتحرك، وأصبح لنا من يعمل في لجان الكنيسة، وقد تعززت علاقاتنا في هذا المرفق الديني، إذ كان الرفيق عادل سليم يأتي في المناسبات والأعياد، ونقوم معاً في زيارة المطران وتقديم التهاني له، وكان ذلك قي موضع أرتياح رجال الدين.

رفاقنا وأصدقاؤنا، غالبا ما يفوزون في إنتخابات الهيئة الادارية، لنادي الموظفين ونادي المعلمين، وفي الهيئة الإدارية لجمعية بناء المساكن. وذات مرة وصلنا خبرا، مؤداه أن في نية منظمة حزب البعث، القيام بعمل شعبي لتمديد أنابيب المياه من البئر الرئيسة الى الخطوط الفرعية، أجتمعنا على الفور وقررنا ان نكون في مكان العمل قبل أعضاء منظمة البعث، وقد حصل ذلك بالفعل، وعندما جاء مدير الناحية، أستغرب لتواجد عددنا الكبير، نظر يميناً و يساراً ،علّ عينيه تلتقيان بجماعته الذين كانوا يصلون مكان العمل، بشكل فرادى، ومتقطع، أستمر العمل ثلاثة أيام، وكان مدير الناحية يستشيرنا بالعمل، في كل يوم، وعندما أكملناه، حضر مسؤول منظمة حزب البعث في عنكاوا وألقى كلمة أشاد فيها بجهود رفاقنا، وأنتقد المشاركة الضعيفة لرفاقهم، وأثناء حديثه ذكر أسم لينين وأيام العمل الطوعي في السبت الشيوعي، ثم ناداني وقال أقترب مني رجاء، صحح لي ربما وقعت في خطأ، شجعتهُ على مواصلة الكلام، وقلت أن حديثك عين الصواب، شكرنا على ما قمنا به، وبعد ذلك نشرت جريدة الثورة أن منظمة حزب البعث في عنكاوا، أنجزت هذا العمل الشعبي.

أنشغلتُ كثيراً في كيفية التوفيق بالعمل، في الوظيفة كمعلم، والدوام في مقر الحزب، وفي المحل، إضافة الى مسؤولياتي تجاه العائلة، كان لا بد أن يكون أداء عمل ما على حساب عمل آخر، هكذا خففتُ كثيراً العمل في المحل، وكانت تنوب عني الوالدة وزوجتي سليمة وأحياناً يساعدهم زوج أختي، لكن ذلك سببّ لي بعض الصعوبات في أعمال التسويق والبيع والشراء، كنت بين وقت وآخر أجد الفرصة المناسبة لمتابعة عملهم، وذات مرة جاءني الجندي حبيب نوري الذي كان يدير حانوتا للجيش، ويشتري من عندي بعض الحاجيات، أخبرني بأن مفوض الشرطة وأسمه شاكر، يسأل عني كثيراً ويريد زيارتي، أخبرتهُ أنه صديق عزيز تعرفت عليه في عين التمر، وحبذا لو ألتقيه، ولكن المشكلة التي تحول دون هذا اللقاء، هو أنه عسكري، وأنا شيوعي، وقد تفسر هذه العلاقة بأتجاه الخطأ، ومسارها غير الصحيح، ويدفع كلانا الثمن الباهض، لذا أخبرت المرحوم حبيب، أن ينقل له هذه الحقيقة.

كان لنا في عنكاوا مقر علني، يزدحم فيه يومياً الرفاق والأصدقاء، وكانت تأتينا جريدة طريق الشعب بحدود مائة نسخة يوميا، وكان يتم توزيعها بشكل مجموعات على عشرة بيوت، ومن كل

بيت، من هذه البيوت، يتم إيصالها الى المشتركين، وجمع أثمانها شهرياً بأنتظام، وبالطريقة ذاتها كنا، نوزع جريدة الفكر الجديد والثقافة الجديدة ولكن بأعداد أقل.

كما كان لنا مكتب صحفي يجتمع بأنتظام في مقر الحزب، كما كانت بعض الهيئات الحزبية تعقد أجتماعاتها في المقر. وجدير بالذكر، أن التنظيم قد تعزز وتطور، وكان لنا هيئة قيادية بمستوى لجنة القضاء، وهيئات قاعدية وخلايا وكلها متكاملة القوام، يرتبط بها شبكة من الأصدقاء، إذ كان عددهم يفوق قوام المنظمة بأضعاف، وفيما بعد تم أرتباط تنظيمات بعض القرى المحيطة بمنظمة عنكاوا، وكانت بقيادة الرفيق الشهد توفيق الحريري الذي أعتقل ذات مرة، عندما كان في زيارة عمل لقرية سيدان، حيث تحدث أمام الفلاحين، وأنتقد الإجراءات السلبية للسلطة، ثم تدخل الحزب وأطلق سراحهُ، وجدير بالذكر أنه قد تم حل المنظمات الديمقراطية عام 1975، حيث كان حزب السلطة يتحسس ويتضايق من نشاطها وتنظيماتها، لذلك طالب بحلها، وفي عنكاوا تم إستيعاب هذه المنظمات وربطها بشكل حلقات للأصدقاء بالمنظمة.

إن عمل المنظمة كان يسير وفق النظام الداخلي، من حيث عقد الإجتماعات، ووضع البرامج، ومتابعة عمل الرفاق ونشاطاتهم الجماهيرية والمالية والتثقيف الذاتي. ذات مرة كنت عائداً من مقر أربيل صحبة الرفيق نجيب حنا (أبو جنان)، أنتظرنا كثيراً مصلحة نقل الركاب التي لتأخرها، قررنا الذهاب الى عنكاوا سيراً على الأقدام. وكان الظلام قد حل. في منتصف الطريق سمعنا أصواتا تأمرنا بالوقوف، كما يبدو كان ثمة كمين للجيش العراقي، ذلك أن عددا من الجنود بدؤوا يتقدمون نحونا، شاهرين أسلحتهم. كان أبو جنان يحمل مسدسا مجاز، قلت له أخبرهم، أن بحوزتك مسدس، قبل بدء عملية التفتيش، أخذوا منه المسدس وإجازة الترخيص، وبعد وقت أعادوه له، وطلبوا منا عدم سلوك هذا الطريق في وقت متأخر.

كنت أذهب الى الموصل، لشراء بعض المواد الغذائية، مثل الحلوى السكرية والطحينية والزيتون والطرشي ومواد أخرى لبيعها في المحل، وأحيانا أذهب الى بغداد، للتسوق من سوق الشورجة، خاصة قبل بدء الموسم الدراسي لشراء القرطاسية، وذات مرة أشتريت ماكنة يدوية صغيرة لكبس وتلبيس أزرار الملابس، وبدأت أعمل على هذه الآلة، كما أشتريت كمية من الكؤوس والملاعق والقناني الزجاجية، وكنا نؤجرها لحفلات الزواج.

في تشرين الثاني 1977 شاركتُ في تعداد النفوس العام، ذهبت في المساء الى بيت مختار القرية، لإجراء عملية التعداد، وأثناء خروجي من بيته، حاصرتني الكلاب، فأسرعت بالصعود الى سلم أحد البيوت، ومن حسن حظي، أنقذني صاحب البيت.

تم نقلي من مدرسة نوغران الى سيدان وكان عليّ في الثامن والعشرين من نيسان عام 1978، أن أذهب الى مدرستي القديمة لإستلام المدالية التي منحت للمشاركين في عملية التعداد.

كانت والدتي مريضة، رقدت لبعض الأيام في الإنعاش، لكنها لم تتحمل، وخرجت على مسؤوليتها من المستشفى، وطلبت مني، عندما ذهبت لاستلام المدالية عدم التأخر والعودة بسرعة، لم يمض وقت طويل على وصولي الى قرية نوغران، حتى جاء زوج أختي ومعه صديق، وأخبرني بأن أمي في حالة خطرة، أدركت، أنها قد توفيت، هكذا عدنا بسرعة حيث كان الكثير من الناس مجتمعون أمام بيتنا ينتظرون وصولي لحمل الجثمان الى المقبرة، وهناك تم دفن الوالدة حسب الطقوس الكنسية، ثم ألقيت كلمة تطرقت فيها الى مأثر حياتها وما عانت من متاعب خاصة في سنوات أعتقالي، وشكرتُ الحاضرين ثم عدنا، وكلفت الشماس متي بطرس زوج عمتي للذهاب

الى الكنيسة وأخذ الموافقة لأجراء مراسم التعزية في الكنيسة، وعندما فاتح المطران أسطيفان بابكا، رفض ذلك.

وفي اليوم الثاني جاء المطران الى بيتنا لتقديم التعازي، قلت له إن الجامع يفتح ابوابهُ في مثل هذه الحالات، لماذا الكنيسة تمتنع عن ذلك، مع أنها هي التي طلبت من الناس إقامة التعازي في الكنيسة، بدلا من إقامتها في بيوتهم، وأضفت أن هناك الكثير من الناس لا يملكون سوى غرفة واحدة. رد عليّ قائلا إن وضع الكنيسة الآن يختلف عما كان عليه في السابق، بسبب إتخاذها للمطرانية مقرا لها، ولكني أعدك بأننا بعد إكمال البناية الجديد للكنيسة التي خصصنا فيها قاعة لإستقبال التعازي؛ سنفي بوعدنا، وستحل هذه المشكلة قريبا.

في عام 1978 بدأت بوادر الملاحقات والمضايقات والإستدعاءات لرفاق الحزب بشكل علني، وفي مقدمة الذين، تعرضوا من منظمتنا لهذه الملاحقات، كان الرفيق فارس بطرس الذي أختطف من أمام قاعة الإمتحان الوزاري قبل دخولهِ القاعة، وأخذتهً سيارة الأمن بعيداً الى ريف كويسنجق، وذلك بعد أن عصبوا عينيه، وأجروا التحقيق معه، تحت التعذيب القاسي، وإطلاق العيارات النارية، لترعيبه، ثم تركوهً، ليجد نفسه وحيداً، وساعده أحد الرعاة للوصول الى مركز مدينة كويسنجق، وعرفنا عن طريق مقر الحزب في كويسنجق بمكان وجودهِ.

في تموز 1978 ذهبت مع مجموعة من الرفاق، للدراسة الحزبية في معهد العلوم الأجتماعية في موسكو ولمدة شهر، أمضيت القسط الأوفر من هذا الشهر، في المستشفى الخاص بقسم العيون، وعندما حان موعد العودة، وزعنا على ثلاث مجاميع، تنتظر كل مجموعة، تلقي الأخبار من المجموعة التي سبقتها في الوصول الى بغداد، بسبب إعدام (33) رفيقا عسكريا. أنطلقت الحملة ضد رفاق الحزب من المحافظات الجنوبية، وأنتقلت من محافظة الى أخرى، بشكل مدروس، وإيلاء الأهمية القصوى، لنجاحها، في تنفيذ المخطط المرسوم لها بصورة هادئة، وعدم إثارة أي ضجة. هكذا وصلت الحملة الى كوردستان، تحديدا أثر تصفية تنظيمات الجنوب والوسط تقريبا. ولعل ذهاب الرفيقان عادل سليم ويوسف حنا (أبو حكمت) لتفقد وضع التنظيم في كركوك، ومباغتتهما لأنهيار كوادره وأعضائه، ومن ثم وفاة الرفيق عادل، في طريق العودة الى أربيل، يؤكد حجم ما لحق بهذا التنظيم، والمردودات السلبية التي سيعكسها على تنظيمات الأقليم لاحقا.

كنت قد أمضيت أربع سنوات في التعليم، كانت علاقتي جيدة مع الهيئة التعليمية، وكنت أحظى بمحبة زملائي وأحترامهم، لذا نادرا ما كان المعلم الذي أطلبه منه التبرع للحزب، يتردد في ذلك.

كانت سيارة الحزب تنقلنا الى المدرسة ذهاباً وأياباً، وفي السنة الأخيرة كان السائق من قرية سيدان وذات مرة قال لي أن سيارته مراقبة من قبل الأمنً، طمأنتهُ بأن هذه المراقبة عليّ وليس على السيارة، هكذا بدأت المضايقات ثم الإستدعاءات الى دوائر الأمن في عنكاوأ، لإنتزاع الإعترافات والتعهدات، وبلغت ذروتها في نهاية شهر تشرين الاول 1978 ، كنت أشعر بأنني سوف أعتقل في كل لحظة، كان عدد من الرفاق يأتوني الى البيت، طلبا لإيجاد المنفذ الذي يخرجهم من هذا المأزق، بهدف الإنضمام الى صفوف الثورة الكردية، عن طريق اللجوء الى الجبل.

وصلتني رسالة من محلية أربيل، تدعوني للإجتماع، ولكن بعد فوات الأوان، وعندما ذهبت الى أربيل التقيت بأحد الاصدقاء، وهو صاحب محل، أستغرب عندما رآني، وقال لي ماذا تعمل هنا

لقد هرب الكل، بما فيهم شقيقه، وعلى ذلك، أسرعت الى ناحية خبات، حيث كان الشهيد حبيب المالح، طبيبا في مستوصف هذه الناحية، الذي منحني إجازة مرضية.

أتفقت مع المرحوم أميل حنا، أن نذهب الى بغداد، للإبتعاد عن أنظار الأمن، لفترة أنتظرته، في صباح اليوم الثاني، على أمل أن يأتيني، ونسافر معا، ولكن لتأخره عن الموعد، بعثت اليه عمتي، لتعود وتخبرني بأنه قد أعتقل ليلة أمس، لذا فما كان عليّ إلآ أن أسرع بالخروج من البيت، متوجها الى أربيل ومن ثم الى بغداد. مكثت في الفندق ليلة واحدة، بسبب قلقي، بإعتبار أن الفنادق أماكن غير آمنة، لم يغمض لي جفن ولم أتذوق طعم النوم الى فجر اليوم الثاني.

ومع طلوع الشمس، غادرت الفندق، قاصدا بيت أبن عمي عزيز دنحا الواقع في الصالحية، أخبرته بأني قادم للعلاج، وسأبقى بحدود عشرة أيام، وقبل أن تنتهي هذه المدة، بدأت أبحث عن مكان آخر. بقيت ليلة واحدة في بيت أحد أصدقاء الطفولة، وغادرته بسبب موقف زوجتهِ السلبي، أو هكذا فهمت من حركاتها، والكلمات التي تنطق بها، فهمت أنها غير راضية لبقائي، الأمر الذي دعاني للمغادرة، مرغما، ساعيا البحث عن بيت أبن خالتي متي الذي قابلني ببرود، خوفا من عواقب إيواء شيوعي، ومن ثم الى بيت أحد أقاربي أيضا، الذي رفض هو الآخر بقائي عنده حتى لليلة واحدة، مع العلم أن زوجتي أستقبلت نجليه لسنتين كاملتين، الأمر الذي أضطرني أن أبحث عن بيت قريب آخر لي، فوقع أختياري في هذه المرة على بيت بولص هرمز، الذي كان عسكرياً سابقاً، فأستقبلني برحابة صدر.

لا أدري، كيف تسنى لثلاثة من رفاقي العنكاويين، أن يعرفوا، مكان إختفائي في بغداد، ذلك لأنهم جاءوا وطلبوا البقاء معي في نفس البيت. شعرت بخطورة الموقف والإحراج اللذين نسببهما للعائلة، لذا قررت العودة الى مكاني السابق في الصالحية وقلت لهم الحقيقة، فرحبوا بي ثانية، وبعد أيام وبمساعدة أبن عمي تحولت الى بيت أحد الرفاق، وهو توما متي ايشو، الذي كان قد بنى بيته حديثاً، ولم يكن قد أكتمل، بقيت بضعة أيام في هذا البيت.

أستغلت إلتحاق زوجتي بي في بغداد، وعودتها الى أربيل، لأكتب رسالة الى مقر الأقليم، شرحتُ فيها معاناتي، وطلبت إيجاد حلا لها، عادت زوجتي الى أربيل وألتقت بالرفيق أبو حكمت الذي طلب تبليغي بالعودة الى أربيل، لتأتي زوجتي مرة ثانية الى بغداد ومعها زوج أختي ونعود سوية الى أربيل. توجهت حسب الإتفاق الى بيت الرفيقة سامية شاكر الجاويشلي، التي كانت عضو في المجلس التشريعي، وفي صباح اليوم الثاني، أخذتني الى بيت الرفيق أبو حكمت، وبقيت عندهم أكثر من أسبوع، ثم نقلني بسيارتهِ في مكان قريب الى مستشفى أربيل، أنزلني وقال لي: سيأتي شخص ويأخذك، أستغربت من كلامه هذا، قلت له أنىّ لي أن اثق بشخص لا أعرفه. قال: يعرفك وتعرفهُ جيداً، وبعد مرور وقت، فإذا بالرفيق صباح بيا صليوا، يقف بسيارة الحزب أمامي، لينقلني الى مقر الأقليم الذي كان تحت مراقبة أمنية طيلة النهار، بقيت ثلاثة أيام في إنتظار وصول الرفيق فتاح توفيق (ملا حسن) على أساس أن كلينا سنسافر معا، لكنه لم يأت، وتم اختيار الرفيق كانبي بدلا منه.

خرجنا في الصباح الباكر، أخذنا الشهيد عباس بسيارة الحزب الى رانية التي وصلناها بسلام، مكثنا في الفندق لبضع ساعات ثم توجهنا الى (سه نكه سه ر)، لم نكن نعرف بمكان الشخص الذي يستقبلنا فيه، كانت معي كلمة السر، وعندما سألنا السائق عن مكان نزولنا، قلتُ فوراً عند الجامع، وأتفقت مع الرفيق كانبي أن نسأل النساء أو الأطفال عن بيت السيد قادر لاجاني، وقبل أن نصلهً، علم لاجاني بقدومنا، وكان في المحل، فأشار لنا بأن نتبعهً، بدأ يمشي ونحن على بعد خطوات

منه، لحين وصولنا الى بيته، قال لنا، كان هناك مراقبة أمنية على محلي، عند وصولكما، وأخبرنا سيأتي الدليل ويأخذكم الى مكان آمن على الحدود العراقية الإيرانية، وأشترى لنا بعض الملابس والأحذية، وفي كل ليلة كان يصعد على سطح المنزل متفقدا الأحوال الجوية ويقول: لانستطيع الخروج بسبب كثافة هبوط الثلوج، ولهذا السبب، فقد تأخر وصول الدليل، وأخيراً أضطر أن يرافقنا بنفسهِ، أجّر لنا بغلين، ولكن ما أن بدأنا بالتحرك، حتى أعترضتنا صعوبات كثيرة، ولا سيما فيما يتعلق بركوب البغل، الذي ليس لي تجربة سابقة معه.

بدأنا نجتاز طرق وعرة في وسط الظلام، وكثرة هطول الثلوج، وبين حين وآخر، كان رأسي يصطدم بأغصان الأشجار، وكان الدليل قادر لاجاني، يطلب منا ألآ نلح على البغل لحثه على السير السريع، ذلك لأنه يعرف الطريق، وأثناء محاولتنا العبور من أحد القناطر الضيقة حيث المياه سريعة الجريان، تزحلق البغل الذي كان يمتطيه الرفيق كانبي، ووقع في المياه المتدفقة تحت القنطرة، أنزلني الرفيق قادر من فوق البغل، ظنا منه أن الرفيق كانبي قد غرق، وقد أضاء المصباح الذي كان برفقته، تحسبا لأي طاريء، وموجها ضوئه نحو المياه الجارية، بحثا عن الرفيق كانبي. أما أنا فقد كنت قلقا جدا، وأفكر في طريقة إنقاذ حياته، ولم يمض كثيرا، وأنا بإنتظار ما سيحدث، لأن ليس بمقدوري، فعل أي شيء لإنقاذ حياة رفيقي؛ حتى سمعت، ومعي الدليل، صوتا ينادينا، وهو يقول (أنا هنا)، سار الدليل مسافة قصيرة ومد يده لكانبي، وساعده على الخروج. كان جسدهُ يرتعش من البرد. أن ما أنقذه، كما روى لنا، هو أنه ظل ممسكا بلجام البغل.

تواصلنا في سيرنا مرة أخرى، وعبرنا الى الجهة الأخرى، وبعد حوالي نصف ساعة وصلنا الى بيت نصف متهدم، كان يستخدمهُ أحد الرعاة لأغنامهِ، أشعل النار طلباً للدفء وتجفيف الملابس، وفي الصباح الباكر خرجنا وكانت الأرض مغطاة بطبقة بيضاء من الثلج وأصوات طيور القبج تشنف سمعنا، قدم لنا الدليل قطعة من الخبز وقليل من التمر، وقبل أن نغادره، أوصانا بأن يختار كل واحد منا أسما معينا له، وقع أختيارنا على حسن وقادر، وصلنا الى منطقة ناوزانك، كان ذلك في نهاية شهر كانون الأول من عام 1978، أخذنا قسطا من الراحة في إحدى الخيم، وأشترينا (قماصل) شتوية أستأنفنا السير الى قرية بيوران، بقينا ليلة واحدة فيها، أما الى سردشت فقد رافقنا فلاح القرية، لأن الطريق كان مكسواً بالثلوج، بلغ حدا حتى أن الفلاح الذي رافقنا، كان يكشف ويحدد عن مكان سيرنا بإستخدامه للعصا، وما ضاعف من مشقة الطريق، هو مماحكة أرجلنا بالثلوج المتراكمة، وصعوبة سير البغال عليها، وبعد عناء وتعب شديدين دخلنا أحد البيوت في سردشت.

فرحت كثيرا، لا بل كدت أطير من الفرح، ونسيت لكل ما واجهتني، صعوبات الطريق، عندما عرفت بوجود الكهرباء في هذه القرية، وما زاد من فرحي وجود المدفئة الخشبية في البيت الذي أستقرينا فيه. طلب منا صاحب البيت، عدم التقرب من لهيب المدفئة، والجلوس بعيداً عنها لفترة، وجلب لنا صحناً مليئا بالماء البارد، وضع أيدينا فيه، وبعد حوالي ثلث ساعة، سمح لنا الإقتراب من النار، تدفئنا وشربنا الشاي، ثم نمنا بأنتظار اليوم الثاني، حيث جاء أحد رفاق الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني وأخذنا بسيارتهِ الى مدينة مهاباد.

في طريقنا الى هذه المدينة، أردنا أن نأخذ قسطا من الراحة في أحد المقاهي. لم أكن أعرف أن أهل هذه المنطقة، يشربون الشاي بطريقة تختلف عن طريقتنا، وهي أنهم لا يضعون قطع السكر في الشاي، بل يمضغونه، وهذه الطريقة في شرب الشاي، الى وقت قريب كانت تستخدم في العراق، وتسمى (دشلمة)، وعندما وضعت قطعة السكر في قدح الشاي، وطلبت ملعقة، لتذويب السكر، فطن صاحب المقهى فورا أننا لسنا أكراد إيران، لأن صاحب السيارة، كان قد أبلغه بذلك،

تجنبا للكشف عن هويتنا؛ فطن صاحب المقهى أننا لسنا أكراد إيران، من خلال طريقة شربنا للشاي.

صادف وصولنا الى مهاباد في بداية كانون الثاني 1979، وكان نظام الشاه ما يزال في الحكم، ولكن في أيامهِ الأخيرة، وعلى وشك السقوط. تلقينا كل الرعاية والإهتمام من صاحب البيت الذي كان غالبا ما يستشيرنا بنوعية الطعام الذي نرغب في تناوله. مرة نظم لنا سفرة الى إحدى الجبال، كان الجو باردا، وفي مثل هذا الجو لا يتدفأ الجسم، إلا بشرب الفودكا، وكان صاحب البيت قد أتخذ كافة أحتياطاته، ليجعلنا نستمتع في هذه السفرة، وما زاد من متعتها، بالإضافة الى شرب الفودكا، اللحم المشوي الذي كان قد أعده. بقينا في ضيافتهِ مدة شهر تقريبا، كان الرفيق كانبي يسألني عن الوجهة القادمة ويقول أنا لم آت لأبقى أسيرا بين أربعة جدران، أما أبو سرباز، فقد كان منشغلاً بالمطالعة، ولا أنسى تعلق أبنته الصغيرة بي التي كنت أعلمها بعض التمارين الرياضية.

كانت الجماهير في حالة الغليان، حاول النظام إجراء بعض الترقيعات كتعيين شهبور بختيار، رئيسا للوزراء، ولكن دون جدوى، إذ لم يعد بالإمكان حكم الشعب بالطريقة السابقة.

زارنا سكرتير الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني (حدكا) الدكتور عبد الرحمن قاسملو، جلس معنا بعض الوقت وشربنا الفودكا التي جلبها معه، ودارت بيننا أحاديث سياسية وأجتماعية، سألني عن أسمي قلت أسمي قادر، لم يصدق، طلب مني قول الحقيقة، ثم روى لنا كيف أن والدهُ كان يأخذهُ يومياً الى الحمام قبل الذهاب الى السوق، وعندما يسأله يجيبهُ أن الجواب عند والدتك، وفهمنا من حديثهِ أن أمه أذرية تركية وزوجته من جيكوسلافاكيا، كرر عليّ السؤال مرة أخرى، والان قل لي الحقيقة من أنت وما أسمك، أجبته إن كنت لا تصدق قولي بالسبب، هو أمك أيضاً، فضحك وقال فهمت هذه هي الحقيقة، وكان هذا أول لقائي معه، ثم ودعنا بعد أن أمضينا وقتاً ممتعاً. بعدها أجرّ لنا رفاق حدكا بيتاً مستقلاً خارج المدينة وعلى الطريق المؤدي الى تبريز، وكانوا يزودوننا بمواد الأكل والشرب.

تدريجياً بدأ عدد الرفاق الملتحقين بكوردستان والهاربين من بطش وإرهاب النظام العراقي، يزداد يوما بعد يوم، وبلغ الى العدد الممكن، تشكيل المفارز والتي بوسعها الإنتقال من قرية الى أخرى ومساعدة الرفاق الملتحقين وإيصالهم الى الحزب. وذات مرة جاءنا الرفيق بهاء الدين نوري ومعه رفيق آخر قادمين من بلغاريا، وتزامن قدومهما، ذكرى تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، أحتفلنا وبمشاركة عدد من رفاق حدكا، وخلال ذلك غنينا وشربنا وتم اطلاق العيارات النارية بالمناسبة، وكانت أجهزة النظام الإيراني البوليسية قد فقدت سيطرتها على الجماهير، وقد ساعدنا ذلك على التصرف بحرية.

دعانا أحد كوادر حدكا لتناول وجبة غداء في بيتهِ، وصادف خروج مظاهرة في نفس اليوم، شاركنا فيها، ثم بدأت مواجهة بين المتظاهرين والشرطة وأستخدم السلاح فيها.، قال الرفيق أبو سرباز ما هو موقعنا هنا، هذه ليست مهمتنا، وبدأنا ننسحب، وتوجهنا الى البيت الذي كنا مدعوين فيه. أستقبلتنا زوجته بالبكاء وهي تسأل عن زوجها وأولادها، لأنها كانت قد سمعت بمقتل العديد من الناس.

كانت الجماهير قد هجمت على مراكز الشرطة وأنتزعت السلاح من الشرطة، وكسرت أبواب السجون وأطلقت سراح المساجين، أنتظرنا قليلا الى أن جاء صاحب البيت ومعه قطعة سلاح ثم بالتدريج وصل نجلاه، وهما يحملان السلاح أيضا، وأخيراً وصلت أبنتهم التي شاهدناها في مقدمة

المظاهرة، وبوصولهم جميعا، بدأت علامات الفرح والسرور ترتسم على ملامح أم البيت، وراحت تهيء وجبة الطعام، كان بالقرب مني جهاز التسجيل، فأمتدت يدي وشغلته، وإذا بي أسمع صوتا أنثويا ينطلق منه بهذه العبارة: (إن المرأة نصف المجتمع)، كان هذا صوت أبنتهم، لذا أسرعوا وأخذوا المسجل، وفهمت فيما بعد أن الأولاد الثلاثة من حزب تودا ووالدهم من حدكا، وجدير بالذكر أنه كان من المقرر أن يجتمع المتظاهرون في ساحة جوار جرا التي أعدم فيها الشهيد قاضي محمد، وهناك يتم إلقاء الخطب والكلمات، غير أنه بسبب ما حدث من مشاكل في اطلاق النار والضحايا التي وقعت، لم تؤد المظاهرة غايتها المنشودة.

في هذا الوقت وصل الرفيق فرنسيس حنا (أبو شاخوان)، مكث معنا بضعة أيام، ثم التحق بمقر الحزب في ناوزنك، حيث كان الحزب، قد فتح أول قاعدة له في هذه المنطقة، ثم تبعه الرفيق كانبي. كما جاءنا في أحد الأيام الرفيق توما توماس (أبو جوزيف)، كان مصابا بالبرد، ونتيجة لذلك، فقد تشنجت عضلات جسمه، حاولت في الفترة التي قضاها عندنا، أن أخفف من ألم هذه التشجنات، عن طريق المساج، ولعدة مرات يوميا.

وجاءنا الرفيق محمود عباس أيضا، وهو من أهالي قلعة دزه، كان قد سقط من فوق البغل مرتين، أنكسر خلالهما ذراعه وتم تجبيرها، لم يكن يستطيع النوم إلآ وهو جالس، لذا فقد سعيت أن أقدم له الرعاية اللازمة هو الآخر، وظل يعاني من هذه الحالة الى ان تحسن وضعه بالتدريج، والتحق بمقرات الحزب، ثم جاءنا الرفيق جلال الدباغ، وكان ينزل الى القبو ويسجل أشعارا بصوت جهوري على كاسيت، وعلى ما يبدو أنه يهيؤها لإذاعة الصوت الشعب العراقي.

في تلك الفترة، كنا نتمتع بنوع من الحرية، فقد أجّرنا بيتا، وهو في الحقيقة، أقرب الى المقر منه الى بيت يسكن فيه مجموعة من الأفراد، تولى الرفيق أبو سرباز مسؤولية المقر، بينما كنت أنا مسؤولا عن إدارته.

بعد أحداث الهجوم على معسكر الجيش في مهاباد الذي سقط، وتم نهب ما فيه من أسلحة وأجهزة ومعدات، وبيع القسط الأكبر منها في سوق (فروشكا)، بدأت الأحزاب الكوردستانية تتحرك بحرية وأصبح لها مقرات ومسلحين.

وصل ثانية الرفيق أبو شاخوان بمهمة حزبية ومكث طويلاً، ثم وصل الرفيق نجم الدين مامو وغيرهما من الرفاق، لتدب في المقر حركة مستمرة، بسبب كثرة القادمين ولأسباب مختلفة، ومرة ذهبت مع حمه بشكول الى المستشفى لأجراء عملية لذراعهِ التي أصيبت باطلاقة نارية، وتبرعتُ له بالدم، وعلمت أيضا بأصابة الرفيق إبراهيم صوفي (أبو تارا) والرفيق حسين مرجان (أبو علي) في معركة بمدينة نغدا.

ذات مرة جاء الرفيق طيب الذكر مهند البراك (دكتور صادق)، وذهبنا معاً لجمع الادوية من عيادات الأطباء، رافقت كثير من الرفاق للعلاج خاصةً لدى أطباء الأسنان، وكانوا يساعدوننا مشكورين، وبين وقت وآخر كان يصل العديد من الرفاق الأنصار في إجازة.

في الوقت الذي أستشهد فيه الكثير من رفاقنا على أرض المعركة، في الوقت ذاته، مازال عدد غير قليل منهم على قيد الحياة، أذكر من الذين أستشهدوا، الرفيق توفيق الحريري وتوفيق سيدا (ملا عثمان) وتوما كليانا، أما الذين ما زالوا على قيد الحياة، هم سعيد شابو (كاميران) وحكمت كوركيس (بختيار) وفاروق حنا وغيرهم، كان هؤلاء الرفاق يبقون عندنا عدة أيام للراحة، ثم يعودون الى مواقعهم الأنصارية، جاءنا الرفيق أحمد دلزار أيضا، والرفيقة روناك (روشن)، وقد صادف مجيئهما مناسبة عيد الفصح، طلبوا مني الإحتفال بهذه المناسبة، شريطة أن أوفر المكان،

ذهبت الى أحد الاصدقاء بهدف إقامته في منزله، أعتذر، بسبب أن وضع عائلته، وبالأخص والده المتدين، لا يساعده على ذلك، ما أضطررنا الذهاب الى الفندق المطل على ساحة (جوار جرا)، ما أن جلسنا وهيئنا كل شيء، حتى باغتنا صاحب الفندق، وهو ينظر الينا بريبة، وقال ماذا تفعلون هنا، قلنا نأكل، رد علينا قائلا: الأكل فقط، وبدون شرب، ثم أردف: أين المشروب أريد ان أشرب معكم، فما كان منا أزاء دهشتنا هذه، إلآ أن نخرج الكؤوس والقناني من المكان الذي أخفيناه فيه غير مصدقين، وبدأنا نحتفل بالعيد دون مضايقة.

ذهبنا ذات مرة بسيارة الصديق (ف) الى مدينة بوكان، بهدف شراء المشروبات وعند وصولنا وجدنا المحل شبه مهدم والزجاج متناثر حواليهِ، ثم ذهبنا لزيارة قبر المطرب حسن زيرك في منطقة نالا شيجين المتوفي في عام 1972، وقد دفن في نفس المكان الذي كان يتناول الكحول فيه مع أصدقائهِ، شاهدت قناني زجاجية كثيرة مكسورة على قبرهِ، وعند عودتنا تعرضت لنا سيطرة حكومية وتم تفتيش سيارتنا ظناً منهم أننا نحمل مشروبات كحولية، ضحك السائق وقال بإستهزاء عن ماذا تفتشون قولوا لنا أين يباع المشروب، جئنا لنشتري ولم نحصل عليه.

في وقت آخر ذهبنا الى بيت عزيز ماوراني، حيث كان قد أعلن عن مجيء محمد أمين سراجي وظهورهِ الى العلن بعد سنوات من الإختفاء والهجرة، كان الكثير من الناس يأتون لتقديم التهاني ومشاركة العائلة في أفراحها، وعندما أردنا المغادرة ألح علينا صاحب البيت بالبقاء لتناول الغداء معهم، أخذنا الى الطابق الثاني ودارت بيننا أحاديث، تطرق السيد عزيز الى وضع مهاباد السابق، وعرج الى الإنفتاح الذي كان سائدا فيها، وجاء على ذكر بارات الشرب فيها بكثرة. فما كان مني إلآ أن أغتنم النموذج الذي أقتدى به، لأقول له: (أنا لا افهم حديثك، ذلك عادة ما يكون صحبة المعلم وسيلة إيضاح، ليستطيع إيصال مادته بشكل دقيق وسليم الى طلبته). فهم المقصود من كلامي، ضحك وأسرع الى الدولاب ليخرج قنينة فودكا منه، قال هذه هي وسيلة الإيضاح، فتحها وبدأنا نشرب لحين قدوم موعد الغداء، حدثتهُ أنا ايضاً عن البارات الموجودة في شارع أبو نؤاس على نهر دجلة ببغداد، وعدني بأنه سوف يذهب الى هذا المكان عندما تتاح له الفرصة المناسبة، وعندما ألتقيتهُ بعد أشهر كان قد ذهب وجلس في نفس المكان الذي حدثته عنه، وكان معجباً بهِ كثيراً.

كان في مهاباد أحد معارفنا، وهو السيد غازي فرنسيس الذي كان قد هاجر مع عائلتهِ الى ايران منذ عام 1975، وقد دعانا الى بيتهِ، وقال لي أنه كان قد كلف بقتلي، وعندما رآني ليلاً في أحد الشوارع في عنكاوا، حاول ذلك، ولكن قلبه لم يطاوعهُ، ثم عاد وروى ما حدث لزوجتهِ وقد شهدت أمامي بصحة روايتهِ، ثم في وقت آخر طلب منه حزبنا إيصال بعض المواد المهمة بسيارتهِ الى قرية بيوران، وقد رافقتهُ وأنجز المهمة بنجاح.

في وقت لاحق شن الجيش الإيراني هجوماً وأستعاد السيطرة ثانية على مدينة مهاباد، لذا فقد تركنا المقر وتحركنا باتجاه سردشت، ثم الى مقرات الأنصار، وكان قد التحق العديد من رفاق حزب تودا ونصبوا خيمهم قريباً من مقرات حزبنا، وكانت علاقاتنا طيبة معهم. أما عن حياة رفاقنا الأنصار، فقد كانت منظمة ومرتبة، وذلك من خلال تقسيم العمل بينهم، حسب القدرات والقابليات المتوفرة لدى كل مجموعة، يعمل البعض منهم في المجال العسكري، والبعض الآخر في الأمور الإدارية، ويقودهم الرفيق عبد الرحمن القصاب ومعه الرفيق عادل سفر (أبو شاكر) وعدد آخر من الرفاق.

كان لنا خفارات يومية ومفارز متنقلة، وذات مرة كتبتُ رسالة الى زوجتي سليمة حملها أحد الرفاق من رانية، طلبتُ فيها مبلغ خمسين دينارا وجواز سفر. عندما كنت في مهاباد لم اكن أعرف أن الحزب يمنح مخصصات شهرية قدرها خمسة دنانير لكل نصير، وقد أخبرني بذلك الرفيق أبو حكمت، فبدأت أستلمها، وكنت قد أقترضتُ من الشهيد توفيق الحريري عشرة دنانير، أعدت له المبلغ، أثر أرسال زوجتي لي المبلغ الذي كنت قد طلبته منها، وبذلك فقد تحسن وضعي المالي بعض الشيء.

وفي أحد الايام كنت أمشي بالقرب من أحد مقرات الأنصار في ناوزنك، خرج فجأة الشهيد عبد الرحمن قاسملو الذي كان في إجتماع مع عدد آخر من الاحزاب الكوردستانية المنعقد في خيمة حزبنا، سحبني من يدي وعلى بعد عدة أمتار، جلسنا معا على صخرة كبيرة، قال: (ياقريبي أنا مرهق من الإجتماع وأشتاق لسماع بعض قصائد مظفر النواب. لبيت طلبهُ فشعر بالإرتياح، ثم ودعني، وعاد الى خيمة الإجتماع، وعندما سمعت بأغتياله، نزل هذا الخبر المحزن كالصاعقة عليّ، وهز كياني، إذ كان قد أغتيل في 1989/07/13 في فينا عاصمة النمسا.

بلغني الرفاق بأنني سوف أذهب الى الاتحاد السوفيتي للدراسة والعلاج، بدأت بتعلم اللغة الروسية، وبمساعدة بعض الرفاق الذين كانوا هناك سابقاً. بعد مدة أنتقلت الى مدينة سردشت وأجرنا بيتا، وسكن معي الرفيق نجم الدين مامو (أبو سلام)، والرفيق محمود فقي وكان يعمل في مجال العلاقات، أما أنا في مجال الإدارة، وخلال مدة بقائي في هذه المدينة زرتُ قرية شالماش التي كان الشهيد ملا آوارا من سكنتها، وهي في منطقة جبلية، وقد رافقنا في هذه الزيارة أسطة محمد، كان له متجر صغير في سردشت نزورهُ يومياً، كما كنت أتردد الى بيت الخياط محمد أمين الذي كان عضو في المجلس البلدي في سردشت، وسمعت مؤخراً بمقتل أبنهِ في عملية قصف المنطقة، وحزنت كثيراً وبعد مدة أنتقلت ثانية الى مدينة مهاباد ومعي بنات الرفيق عزيز محمد والرفيقة روناك إسماعيل (روشن) والطفل علي بهاء الدين نوري وسكنا في بيت الرفيق (ع) وهو من حزب تودا، وكان قد أخبر جيرانهِ أننا عائلة وبضيافة مؤقتة عندهُ، غير أنهم لم يصدقوه، اذ قالوا له أن أفرادها لا يشبه بعضهم البعض.

وبعد مدة سافرت الى طهران بسيارة قادر ماوراني والرفيق حسن قزلجي ، نزلنا في ضيافة أحد رفاق حزب تودا، ثم أنتقلت الى بيت الرفيق صباح وهو كوردي فيلي مقيم في طهران منذ سنوات الذي أخذني الى مقر حزب تودا، حيث ألتقيت بممثل حزبنا الرفيق عادل حبه (أبو سلام) الذي رتب لي أمور السفر، زودني برسالة وعنوان في دمشق، بعدها خرجنا وذهبنا لشراء بعض الملابس ومسجل، وبعد أسبوع حان موعد سفري، رافقني الى المطار الرفيق صباح، كنت قلقاً إذ لا أحسن التحدث باللغة الفارسية، لكن تم كل شيء بسلام، وصلت دمشق في بداية اذار 1980، نزلت في فندق بردى في ساحة المرجا، وفي صباح اليوم الثاني توجهت الى ساحة شندين في ركن الدين، سألت صاحب صيدلية عن عيادة الدكتور نبيه أرشيدات، دلّني عليها، وصلت العيادة، أستقبلني وأبدى الإهتمام اللازم بي، سلمتهُ الرسالة وبدورهِ سلمها للحزب. ثم عدت الى الفندق، وفي اليوم الثاني جاءني الرفيق طيب الذكر جميل الياس ميزي (أبو جمال)، تبادلنا الأخبار، سألتهُ عن الصديق نظير إسحاق، عرفهُ وأخبرهُ بمكان وجودي، وبعد عدة أيام جاء نظير وأخذني الى بيتهِ، كما جاءت والدتهُ ومعها نجيبة يوسف في زيارة الى دمشق وأمضينا معاً أياما جميلة، سمعت منهم أخبارا كثيرة عن عنكاوا، وحملتهم بعض الهدايا للأهل. بعدها أخذني الرفيق أبو جمال الى طبيب العيون لإستحصال تقرير طبي لتمديد الإقامة، ألتقيت في عيادة الدكتور نبيه رشيدات بالرفيق كريم أحمد، وسليمان أسطيفان (أبو عامل) الذي حملني بعض الهدايا الى أبنهِ الذي كان

يدرس في موسكو، وأيضاً سلمت رسالة الى الرفيق كريم أحمد مرسلة من زوجتهِ، ثم هيأتُ نفسي للسفر بالطائرة الى موسكو التي وصلتها في نهاية آذار 1980، وتم أستقبالي ونقلي بسيارة خاصة الى فندق اللجنة المركزية، وهناك ألتقيتُ بمسؤول العلاقات الرفيق نيشكن، ثم جاء الرفيق طيب الذكر صباح ياقو لزيارتي سلمتهُ الأمانات، وبعد أيام تم نقلي الى مستشفى اللجنة المركزية في قسم العيون وأجريت لي الفحوصات الطبية اللازمة، وصادف وجود الرفيقة ثمينة ناجي يوسف (أم ايمان) في المستشفى في هذا الوقت، وقد ساعدتني كثيراً بالترجمة عند الأطباء، وبعد الإنتهاء من مدة العلاج نقلت الى مصح ثم عدتُ الى معهد العلوم الأجتماعية، وكان قد مر عدة أشهر على بدء الدوام، ولكن مجموعتنا الدراسية لم تكن متكاملة، لذلك أنتظرتُ للموسم الدراسي المقبل، ثم جاء وقت الأولمبياد وفرغوا المدرسة لإستقبال الزوار ليتم نقلي الى مدرسة خاصة لحركات التحرر في منطقة بوشكينا خارج موسكو، وفيها فرق دراسية من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ومن أثيوبيا، وحدث ذات مرة مشكلة بين الفلسطينيين والاثيوبيين بسبب موقف الاثيوبيين من أرتيريا، فأحتج الفلسطينيون على ذلك، وتسبب بعض البرود بينهما، مما أستدعى تدخلي لحل هذه المشكلة وإنهاء الخلاف.

في أحد الأيام كنت في الساحة الحمراء، وفجأة سمعت من يناديني بأسمي، وبشكل لا شعوري ألتفت خلفي شاهدت الطالب غانم بهنام. كان مرسلاً في زمالة دراسية من قبل الحزب، ولكنه لم يستمر في علاقته مع الحزب، أخذني الى أحد المقاهي، عرض عليّ موضوع شقيقه، من خلال مساعدة الحزب في إخراجه من العراق، وضحتُ له الظروف الصعبة التي يمر بها الحزب، ثم أنني قادم الى موسكو لمدة قصيرة وبمناسبة الأولمبياد، فأعتذرتُ عن عدم إمكانيتي لتلبية طلبهِ، أعطاني رقم هاتفه، غير أنني لم أتصل بهِ.

بدأت الدراسة في المعهد القريب من مترو إيرابورت، كنا مجموعتان من ثماني رفاق، مجموعة لمدة سنة والأخرى لمدة سنتين، ومن بينهم ثلاث رفيقات، كنا في إنسجام مع بعضنا، وتعززت علاقتنا خلال مدة الدراسة، إن المواد الدراسية كانت تتركز حول الحركة الشيوعية والأقتصاد السياسي (الرأسمالي والأشتراكي) والفلسفة والخبرة التأريخية للحزب الشيوعي السوفيتي والسيكولوجية والعمل السري واللغة الروسية، هذا إضافة الى المحاضرات الأسبوعية التي تلقى لعموم الطلبة. كان أثنان من المدرسين يلقيان المحاضرات باللغة العربية والآخرون من خلال المترجم، وكان من أفضل المترجمين (لاريسا)، أما الاستاذة (آنا أكروفنا) فقد كانت طاعنة في السن، وعندما تسأل الطالب، عليه دائماً أن يأتي على ذكر أسم لينين، وإلآ، لا يعجبها جوابه.

بوغتنا بقرار نقلنا الى مدرسة أخرى، بعيدة عن مركز موسكو، هذا القرار الذي أدى الى خروجنا في وقت مبكر، والعودة بشكل متأخر. وكانت حجة إدارة المعهد، عدم كفاية القسم الداخلي، حاولت مع (كالينا) التي كانت تشرف على مجموعتنا، أن تتدخل، لكنها لم تستجب. الأمر الذي دفعني لمقابلة مدير المعهد، قلت له: أن مجموعتنا صغيرة ولا تسبب مشكلة في السكن، كما أننا بحاجة الى أن نكون في المدرسة الرئيسة لمواصلة حشد التضامن مع قضية حزبنا وشعبنا وفضح أعمال وإرهاب النظام العراقي بحكم تواجد العديد من الفرق الدراسية في هذه المدرسة، لم يعجبهُ كلامي. لذا فقد أنتقلنا الى المكان الجديد المقرر، كنا نعاني من صعوبة التنقل من قسم السكن الى المدرسة يومياً، بسبب البرد القاسي وتراكم الثلج، مثلما لم يعجبنا ذلك، كذلك لم يعجب الطلبة الاخرون الموجودين معنا، فبدأوا مثلنا يطلبون مقابلة المدير للعودة الى المدرسة الرئيسة. في مناسبة ثورة أكتوبر ذهبت حاملا باقة من الورد وقدمت التهاني بأسم الفرقة العراقية الى المدير، وفي وقت لاحق جاء المدير لسماع مطالب بقية الطلبة. أما نحن فقد قررنا السكوت، للدلالة على عدم رضانا،

وعندما شعر المدير، بان المجموعة الثانية، لا تطرح مطالبها هي الأخرى، أقترب مني وهمس في أذني: (أن مشكلتكم في بالي)، وبعد حوالي شهرين، تم إعادتنا الى المعهد ثانية، وكانت البناية تضم المستوصف والمطعم والمكتبة والإدارة والقسم الدراسي والقسم الداخلي للسكن ومحل لبيع الملابس، وآخر للمواد الغذائية، وكان يمكن أن يتدرب الطالب بعد الدوام ويدخل دورات مثل السياقة والإعلام والتصوير وغيرها.

سكنت الطابق السابع وكان في جوار غرفتي الرفيق الطيب الذكر الدكتور نبيه رشيدات من سوريا، كان علينا ان نختار فرقة دراسية قريبة من الفرقة العراقية، وقع الأختيار على الفرقة التركية، كانت علاقاتنا حميمة وطيبة مع الرفاق السوريين واليمن الديمقراطي، وكان علينا حضور مناسباتهم دوماً. كان لنا مكتبة صغيرة توارثتها الفرقة العراقية من بعض المصادر، كالكتب ومجلدات صحافة الحزب وحتى جريدة القاعدة، وكان في المعهد مكتبة عامة غنية بالمصادر نتردد اليها يومياً لإستعارة الكتب والمصادر حسب طلب المدرسين.

بين وقت وآخر كنت أخرج أيام السبت والأحد لزيارة عدد من الأصدقاء، أذكر منهم الأخ جورج منصور ونظير إسحاق ونبيلة المالح وسعدي المالح ومنعم العطار وزوجته ناهدة وقد ألتقيتُ الرفيق عزيز محمد عندهم.

كان منعم قد التقى بالسيد عيسى عودة في بلغاريا، وجلب لي كيس شاي عراقي كهدية منه، ونقل له أخباري، وكان الأخ نجيب المالح يدرس في رومانيا، جاء لزيارة موسكو وعندما عرفت بقدومهِ، ذهبنا لتناول وجبة غداء في مطعم آربات، كان معنا نظير إسحاق وفارس عزو ونبيلة وسعدي المالح، رفعتُ كأس على نخب نبيلة، تذمر المرحوم سعدي من تصرفي هذا، وأعتبره إهانة لهُ، ذلك لأنهما، كانا قد أنفصلا عن بعضهما، لذا فقد غادرنا المطعم، ونحن بمزاج سيء، وحتى أن شقيقهُ نجيب المالح أستنكر تصرفه.

كنت أذهب الى مستشفى اللجنة المركزية لزيارة وتفقد أحوال الرفاق المرضى الراقدين فيه، أذكر منهم الرفيق يوسف حنا (أبو حكمت) وأحمد باني خيلاني (أبو سرباز) وأبو سيروان والدكتور فارس رحيم الذي كان راقداً في قسم الأعصاب، وقد توفي ودفن في موسكو، وكذلك النصير حسين مرجان (أبو علي) في المستشفى العسكري بأسم بوردينكا الذي كان قد أصيب في معارك نغدا.

شاركتُ ثلاث مرات في يوم السبت الشيوعي وأديتُ العمل الطوعي في معمل الأقمشة والأحذية، وفي جمع أوراق الأشجار المتساقطة في فصل الخريف من الحدائق، زرتُ موقع ضحايا الحرب العالمية الثانية حيث كان الجيش السوفيتي قد أوقف النازيين من التقدم، حين خاطبهم القائد العسكري جيكوف وقال " أيها الرفاق أن أراضي الأتحاد السوفيتي واسعة لكن موسكو من ورائنا " بهذه العبارة، رد المعتدي على أعقابهِ، وضعت أكليل من الزهور على النصب التذكاري للضحايا.

زرتُ برج تلفزيون موسكو وجلستُ في الكافتيريا الدوار، حيث تستغرق كل دورة 45 دقيقة، وخلال هذه المدة، يمكن للجالس في الكافتريا، أن يشاهد معظم المعالم الموجودة في موسكو. كما زرتُ ضريح لينين في الساحة الحمراء عدة مرات، وشاهدت كيف أن الناس يتجمعون بين وقت وآخر لمشاهدة الطريقة التي يتم فيها تغيير الحرس الملفتة للنظر، حيث يقف بثبات، دون أن تنم منه أية حركة، أو كانهُ مصنوع من تمثال، وقفت في الطابور الطويل، ألقيت نظرة صمت وتعجب وإحترام، على جثمان الخالد لينين، ثم خرجت من الجانب الثاني.

في الساحة الحمراء كاتدرائية القديس باسيل، ذات القبب الذهبية المتعددة والجميلة، بنيت في عام 1555، ألتقطت صور تذكارية عندها، زرتُ أيضاً نصب الجندي المجهول القريب من جدار الكرملين، وعند مدخل الساحة الحمراء يوجد متحف تأريخي، يضم صور ولوحات ومعالم تأريخية لروسيا القيصرية. وقفتُ كثيراً قرب البرج الذي يحمل ساعة الكرملين الشهيرة التي يمكن سماع دقاتها من بعيد.

حضرتُ عدة مرات العرض العسكري المقام في الساحة الحمراء لمناسبة ثورة أكتوبر وعيد النصر في التاسع من آيار، ولأول مرة شربت النبيذ الساخن الذي يكسب الدفء لجسم الإنسان، شاهدت حضور المحاربين القدماء في يوم النصر وعلى صدورهم الأوسمة الممنوحة لهم تقديراً لدورهم البطولي والتقطت صور تذكارية معهم.

كما زرتُ نصب كاكارين وهو على هيئة مركبة، تنطلق الى الفضاء الكوني، وكان حولهُ العديد من الزوار، وقمت أيضا بزيارة ساحة الشاعر بوشكين، وفيها تمثاله يرتادها عشاق شعره، وقتل أثناء المبارزة. كنت دوماً أتردد الى حديقة بارك كلتوري (بارك الثقافة)، بأسم مكسيم غوركي، فيها الكثير من أماكن النزهة والراحة والمتعة. ما اثار أعجابي فيها، أن أثنين من راكبي الدراجات البخارية، وهما داخل حفرة أسطوانية الشكل وعميقة ينطلقان من القاع الى الأعلى، سيراً على الجدران، ويستمران على هذا المنوال عدة مرات. كما زرتُ ومعي الاخ نظير إسحاق معرض المنجزات في الإتحاد السوفيتي بإسمهُ المختصر فيدنخا.

في موسكو يوجد شارع بأسم سلام عادل، زرتهُ وشاهدتُ فيهِ لوح تذكاري، يحمل أسمه وبعض المعلومات عنه، يزورهُ العديد من الطلبة العراقيين، ويضعون أكاليل الزهور على ضريحه، تقديراً لتضحياته الكبيرة.

زرتُ السيرك القديم عدة مرات، تقدم فيه عروض شيقة وجميلة، والسيرك الجديد القريب من جامعة موسكو الذي يكتظ بالزوار دوماً، ونوعياً متطور وله مكانة مرموقة عالمياً. كما شاهدتُ البانوراما التي تعكسِ وتصور حرب نابليون في عام 1812 وأقترابه من موسكو، ويروى أن الأهالي أحرقوا المدينة وخرجوا منها، وهناك بالقرب من البانوراما تل، صعد اليهِ نابليون والقى نظرة على موسكو، وبعد معارك أضطر الإنسحاب.

ذهبت برفقة ثمينة ناجي يوسف (أم ايمان) لزيارة بيت سوزان بنت الرفيق فهد، تحدثنا عما سمعته من أمها أيرينا عن الرفيق الخالد فهد، وقالت أن والدتها لم تكن تعرف أن الرفيق فهد عراقي، ولا عن مركزه السياسي إلآ بعد إعدامه.

ذات يوم كنت أسير في الشارع، أستنشقتُ رائحة شموع، أقتربتُ من المكان، وعندما دخلت، وجدت نفسي في كنيسة، يقيم فيها قداس، ذلك لأن تراتيل المزامير، طفقت تتناهى الى سمعي، وكان هذا القداس قد أقيم، لمناسبة عيد الفصح، فأشعلت شمعة وشاركتُ الحاضرين بأفراح العيد. خرجت وعلى مسافة قريبة شاهدت كشك صغير، وجدت فيه شخصا يصبغ الأحذية، فتوجهت نحوه، لصبغ حذائي، وعرفت أنه آشوري، ورحنا نتكلم باللغة الآشورية، قال أن له أقارب في العراق. رفض أستلام ثمن صبغ الأحذية، وعندما خرجت أشتريتُ له بضع قناني مشروبات الكوكا كولا، وزرتُ متحف التأريخ الطبيعي في شارع غوركي وفيه الكثير من الصور والمجسمات والشروحات الموثقة التي توضح مراحل تطور الكون والإنسان على طريقة داروين، وكانت ترافقنا مترجمة تساعدنا وتشرح لنا لفهم المعروضات.

ذهبت رفقة الصديق نظير إسحاق الى تلال لينين، ركبنا عربة خشبية تتزحلق على الثلج ويجرها الأيل، ثم نزلنا ولعبنا مع الأطفال الذين كانوا يمرحون، برمي كتل الثلج على بعضهم البعض.

زرتُ جامعة الصداقة بين الشعوب (جامعة باتريس لومومبا) التي يدرس فيها الاف الطلبة من مختلف البلدان وخاصة البلدان النامية، وتقدم لهم كل المساعدات للمعيشة والسكن والدراسة المجانية وتهيء لهذه الدول الكوادر العلمية.

كان من المقرر بناء سبع بنايات متشابهة لمناسبة مرور 700 عام على تأسيس موسكو، وقد تم بناء ست منها بمشاركة الأسرى الألمان، وبعد إكمال البناء يتم إطلاق سراحهم، وأذكر منها بناية جامعة موسكو، ووزارة الخارجية، وفندق أوكرانيا وغيرها. وهناك بناية مجلس التعاضد بين الدول الأشتراكية (سيف) وهي تشبه الكتاب المفتوح.

موسكو مدينة كبيرة شوارعها كبيرة وواسعة، وفيها حدائق وباركات كثيرة تغطيها الثلوج في أيام الشتاء، بيوتها دافئة شتاءً، ولا ينقطع التيار الكهربائي، بنيتها التحتية متكاملة فيها شبكة مترو أنفاق تحتوي على أكثر من 100 محطة، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى، بحيث لا يشعر المرء أنهُ تحت الأرض، إنما في متحف، إضافة الى رخص تكاليف النقل والسرعة في الوصول الى أي مكان، وهناك وسائل نقل أخرى فوق الأرض كالترام والباصات وغيرها.

كانت العادة والتقاليد المتبعة في المعهد، أن تحتفل كل مجموعة لمناسبة تأسيس أحزابها، ويتم دعوة المجموعات الأخرى، بحضور هذه المناسبات، وهي كثيرة، هذا ما فعلناهُ حيث أحتفلنا بعيد 31 آذار ذكرى تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، وحضرتهُ الرفيقة عميدة المصري والرفيقة أم إيمان والمجموعات الدراسية الأخرى.

كانت علاقاتنا جيدة خاصة مع الحزب الأشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطي، ومع المجموعة السورية، وقد حضرتُ مناسبة تأسيس الحزب الشيوعي السوري، والقيتُ كلمة مختصرة لهذه المناسبة، وذات مرة علمت منهم بأن الرفيق خالد بكداش قادم لزيارتهم، ذهبت معهم لإستقبالهِ، صافحته ورحبتُ به، أستغرب مسؤول المجموعة السورية، وهمس في أذني أن الرفيق بكداش لا يحبذ المصافحة مداراة لصحتهِ، غير أنه يحب العراقيين كثيراً.

في العطلة الصيفية، ذهبت الى مدينة صوجي الواقعة على البحر الأسود، للراحة والإستجمام، ونزلت في مصح بأسم فرونزا المطل على البحر، تلقيتُ الرعاية الضرورية من حيث الأكل الجيد والعلاج الطبيعي، كان معي رفاق من اليمن الديمقراطي، كنا نتنزه في شوارع المدينة، ونحضر الحفلات الموسيقية ونشرب البيرة مع السمك المجفف، وننزل البحر للسباحة، كان في نيتي تعلم السباحة بمساعدة رفيق من اليمن، غير أنه بعد أسبوع، نقل الى المستشفى بسبب إصابتهِ بالتدرن. ذهبت في جولة بحرية بزورق وكانت ممتعة، وأحياناً كان البحر في حالة هيجان وتتلاطم أمواجه جدار الغرفة التي أسكنها، وكان معي رفاق من المجموعة السورية يسكنون في مصح لينين، يأتون لزيارتي قاطعين مسافة طويلة، وهم يسبحون في البحر، وعلى مائدة الطعام كنت التقي يومياً مع عائلة أرمنية من ثلاثة اشخاص، كنا نتبادل التحية وبعض الأحاديث. أمضيت حوالي أربعة أسابيع، لم أشعر كيف مرت بهذه السرعة، ثم عدتُ الى موسكو وأنا أحمل في داخلي كل الإعجاب والذكريات والإنطباعات الإيجابية التي لا يمحوها الزمن.

ولا يفوتني أن أذكر، أنني زرتُ المسرح الكبير (بلشوي تياتر) مرتين، وشاهدت عروض جميلة، منها إيفان الرهيب. وكان المسرح مكتظا بالمشاهدين، والجميع في حالة إنصات، وكأن المسرح يخلو من الناس.

عدتُ للمعهد، وقدمتُ للأمتحانات المطلوبة في جميع الدروس، مهيأ نفسي في تقديم دراسات عن الطبقة العاملة العراقية، وذلك من بدايات تكوينها الى نهاية عام 1970، غير أنني كنت أعاني من شحة المصادر، لذا فقد أعتمدت على وثائق مؤتمرات الحزب وكونفرساتهِ وكراس الرفيق آراخاجادور وصحافة الحزب.

كانت المشرفة مُدرسة الحركة الشيوعية، تتابع على ما أكتبهُ، وتقدم الملاحظات والإرشادات، وفي النهاية حضر جلسة المناقشة الأستاذ المشرف ومدير المعهد والمترجمة، وكنت قد اعددتُ ملخصاً بما كتبتهُ، قرأته، وطرحوا عليّ بعض الأسئلة التي أجبتُ عليها، لأحصل على الدبلوم.

كان الوقت في شهر حزيران 1982، ذهبنا الى مدينة لينينغراد (سانت بطرسبورغ) وهي مدينة جميلة وذات تأريخ نضالي، وعشنا فيها أياما وليال بيضاء، حيث لا يغيب فيها، ضوء الشمس ليلاً، زرنا متحف الأرميتاج الشهير الذي يعد من المتاحف المشهورة عالمياً، والذي يحتوي على عدد لا يحصى من لوحات الفنانين القدماء، قيل لي أن في بداية إفتتاحهِ، كان يقدم كأس فودكا صغيرة للرجال، وفنجان قهوة للنساء. وشاهدتُ تمثال بطرس الأكبر وهو على الحصان، رافعاً إحدى قدميه وهو يطل على نهر نيفا داخل حديقة.

زرنا القصر الشتوي، وسمعنا الحديث عن الأحد الدامي وضحاياهُ، وكيف أن الجماهير أقتحمت القصر في بداية ثورة أكتوبر. في لينينغراد أكثر من ثلثمائة جسرا، ويفتح الكثير منها عند عبور السفن، شاهدت الكوخ الصغير الذي اختفى فيه لينين عند عبورهِ عبر المياه المتجمدة وخروجهِ من لينينغراد، وزرتُ الطراد افرورا الشهير الذي أطلق أول إطلاقة مبشراً بثورة أكتوبر، وتجولت على ظهر الطراد وشاهدت الغرفة التي تم منها البث الإذاعي، هذا ما تختزن به ذاكرتي، وقد فاتني الكثير ما ليس بوسعي ذكرهُ هنا، بسبب تقدم العمر والنسيان.

عدتً الى موسكو وهيأتُ نفسي للسفر، وبدأتُ بتوديع الأساتذة والرفاق والأصدقاء، والحق يقال أن المرء يشعر وهو في موسكو، كأنه في وطنهِ وبين أهلهِ وذويهِ، بسبب المحبة والرعاية والإحترام التي يلقاها، الأمر الذي يجعل القادمين الى هذا البلد، ألآ يشعروا بالغربة، ومحبة لهذا الشعب، تعلمتُ بعض أغانيه وأناشيده، أذكر منها نشيد الأممية "هبوا ضحايا الإضطهاد ...." وأغنية كاتيوشا ولا زلت أرددها بين وقت واخر، هكذا ودعت موسكو.

وصلت الى دمشق في شهر تموز 1982، وكان معي أربعة رفاق، حللنا في فندق في ساحة المرجا ثلاثة أيام، ثم أنتقلنا الى بيوت في مساكن برزا بمساعدة الرفاق.

كانت وجهتي العودة الى كوردستان، لكن ثمة صعوبات حالت دون ذلك منها، صعوبة الطريق وجواز السفر والوضع الصحي، هكذا بلغني الرفيق حاجي سليمان (أبو سيروان) بقرار الحزب بالبقاء في سوريا والعمل في منظمة الحزب بدمشق، سكنت بصورة وقتية مع الرفيق أبو شهاب، ثم أجرتُ بيتاً في مسبقة الصنع خلف مستشفى حاميش.

تنظيم سوريا كان هرمياً من حيث الهيئات القيادية والقاعدية والخلايا، ويجري العمل وفق بنود النظام الداخلي، وهناك برامج عمل وإجتماعات تنظيمية وثقافية ومتابعة ولقاءات يومية ونشاطات جماهيرية وتقارير أنجازية، وكانت ترتبط بالهيئات الحزبية شبكة من الأصدقاء، يفوق عددهم

قوام المنظمة بكثير، هذا الى جانب المنظمات الديمقراطية، مثل الشبيبة وأتحاد الطلبة ورابطة المرأة الى جانب الحركة النقابية، وكانت كل منها تنشط في مجال عملها الخاص، ولها أعلامها الخاص، وبعد أحداث لبنان في حزيران 1982 بدأت تنظيمات سوريا تزداد أكثر، بعد إنتقال الرفاق التنظيم في لبنان، كما أن المركز القيادي أنتقل الى دمشق وأصبح للحزب مكتب عمل، حيث الدوام المنتظم فيه يومياً، وكانت للمنظمة رفاق يعملون فيه. كانت سوريا محطة مهمة يتواجد فيها آلاف العراقيين خاصة في منطقة السيدة زينب، بدأت هذه الأعداد بأزدياد، خاصة بعد الحرب العراقية الإيرانية التي كانت تزهق أرواح الناس دون حساب، إذ بدأ الكثير يهرب من هذا الجحيم الى البلدان المجاورة ومنها سوريا، كان لنا رفاق ينشطون في هذا الوسط ويحضرون المناسبات الدينية المقامة.

3

منذ ان خرجتُ من العراق عام 1979 كانت أخباري منقطعة عن الأهل، إذ لم تكن هناك وسيلة للإتصال بهم، وعلمت في وقت لاحق أن عائلتي لم تكن في مأمن ومنجى من ملاحقات أجهزة النظام خاصة عوائل الأنصار، وفي أوائل عام 1981 تم إستدعاء زوجتي الى دائرة الأمن في أربيل، بدأوا بالتحقيق والإستفسار عني، أجابتهم، أن أخباره منقطعة عنها، كما أنها أبلغتهم، بقلقها على مصير أخوانها الذين يحاربون ضد إيران. تفاجئوا بهذا الرد الذي بدا لهم غريبا، من خلال عدم حذو إخوانها حذو زوجها. ثم سألوها عن الشهيد حبيب المالح، نفت أي علاقة أو معرفة به، كما عرضوا عليها موضوع الطلاق من زوجها، أجابتهم أن الدين المسيحي لا يسمح بذلك، فتدخلت الراهبة أناهيد التي كانت تدرس أطفال مدير الأمن، وتم إطلاق سراحها، بعدها جاءوا الى بيتنا ومعهم المختار، وسجلوا كل ما فيه من أثاث، بهدف حجزها، كانت أختي وزوجها وأطفالها يسكنون مع أهلي في نفس البيت، وعندما أراد رجال الأمن إحتجاز كل الأثاث، بما فيها أثاث أختي، أعترضت عليهم، علق أحد أفراد الأمن على إعتراضها قائلا: صاحب هذا البيت، لا يملك شيئا فيه، لذلك أصبح شيوعياً وهرب.

في عام 1983 وقعت أحداث دامية في كوردستان العراق بمنطقة بشتاشان بين الإتحاد الوطني الكوردستاني وأنصار الحزب الشيوعي، راح ضحيتها عشرات الشهداء من الرفاق والكوادر.

كانت الخسائر فادحة وكبيرة لا تعوض، بحيث أن الضربة أثرت على الحزب ورفاقهِ فكرياً وتنظيمياً وعسكرياً ونفسياً. وقد وصل الكثير من الرفاق الى دمشق بعد أن تركوا العمل في صفوف الأنصار، وقد أشغل ذلك الرفاق، لفترة طويلة في نقاشات داخل التنظيمات الحزبية. كان عندي راديو ترانزيستور، غالبا ما أستخدمه لسماع الأخبار من إذاعة الحزب، ولكن للأسف توقف عمل الإذاعة بعد تفجيرها. في هذا الوقت ألتقيتُ بالرفيق أحمد الجبوري (أبو أزدهار) الذي كان قد وصل الى دمشق قادماً من كوردستان، ونقل لي خبر أستشهاد النصير موفق رحيم كوندا (سمير)، وهو شقيق زوجتي، وقال أنه كان قد ذهب لجلب المؤونة، وأثناء عودتهِ لم يكن يعلم بأن الرفاق قد تركوا هذا الموقع بسبب هذه الأحداث، وكان معه رفيقان آخران، فدخلوا في معركة غير متكافئة مع كمين ل آوك، أستشهد معه رفيق آخر وهرب الثالث، وقع هذا الخبر الأليم كالصاعقة على نفسي. عدتُ مسرعاً الى البيت وكتبتُ رسالة عزاء الى زوجتي سليمة، لكن للأسف لم تصل اليها.

سبق لي وأن كتبتُ رسالة للحزب، طلبتُ فيها مجيء زوجتي، حيث مقر الأنصار، كانت قد تمت الموافقة، وجاءت زوجتي سليمة رفقة السيدة خاتون زوجة الرفيق نجم الدين مامو، ووصلتا

برزان، بيد أن ما أستجد من أحداث، علاوة على الظروف الصعبة للطريق، حالت دون ذلك، ما أضطرها العودة الى عنكاوا، بأنتظار فرصة أخرى.

في عام 1984 ألتقيت في دمشق بالرفيق وردة البيلاتي (سردار) الذي كان قد عاد من اليمن الديمقراطية بعد إكمالهِ لدورة ضباط عسكرية، وبعد أيام عاد ثانيةً الى كوردستان العراق، وفي نفس الفترة كان قد وصل الرفيق فرانسيس حنا (أبو شاخوان) قادماً من موسكو بعد إكمال الدراسة الحزبية، فرحت بلقائهِ كثيراً بعد الفراق الطويل، ثم وصل الى دمشق أبنه شاخوان الذي نقل الينا أخبارا كثيرة عن عنكاوا وخاصة عن الأهل، أستمتعنا كثيراً وفرحنا باللقاء وسماع ما كنا قد أفتقدناه لسنين طويلة، سافر شاخوان للدراسة المهنية الى الإتحاد السوفيتي، وفي نفس العام سكن معي أربعة رفاق من حزب تودا، كانوا قد وصلوا قادمين من كوردستان، أذكر منهم محمد أمين السراجي، والسيد غني بلوريان الذي كان قد أمضى عشرين عاما في سجون الشاه، وقد لاحظت أنه كان يخرج يومياً متجولا في أسواق البالة (لانكا)، ويعود دون أن يشتري شيء، وعلى ما يبدو أنه كان يبحث ويبتغي إستنشاق الهواء وحرية الحركة، للتعويض لما حرم منه سابقاً، وقد زارهُ مرتين الرفيق عزيز محمد ومكث معه طويلاً، يتبادلان الأحاديث خاصة في الأمور السياسية، وسافرا بمساعدة الحزب الى جيكوسلافاكيا، وروى لي الصديق رزكار رنجروا، أنه زار مام غني بلوريان وقدم له هدية، وقد كانت عبارة عن طير في قفص، وعندما أستلمها فتح باب القفص وأفرج عن الطير، وقال أنا لا اتحمل رؤية طير داخل القفص، وشكرهُ على هديتهِ .

في مناسبة نوروز 1985 ذهبنا في سفرة الى منطقة عين الخضرة في دمشق المعروفة بأراضيها المرتفعة، وهي شبه جبلية، وتنتشر الأشجار الكثيفة فيها. كما يبدو، أن السيد عزيز عقراوي الذي كان معنا، لسحر الطبيعة الخلابة، وإنجذابه الى جمالها، دفعه أن يصعد الجبل، وعندما قطع مسافة، أعترض طريقه أحد الجنود ومنعه من مواصلة السير، بداعي كون المنطقة عسكرية، ما أضطره العودة، وهو يشعر بخيبة أمل، وكان قد أعتاد أن يحمل معه ورقة وقلم، لأنه كان بصدد تأليف قاموس، أو هذا ما كان يصرح به.

لمناسبة اليوبيل الذهبي لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي، نشط رفاق منظمة الحزب، فعمل أحدهم مجموعة من مداليات، منقوشة بتأريخ تأسيس الحزب، ومسبوكة بماء الذهب، فقمنا بتوزيعها، وجمع التبرعات. كما أقام الحزب إحتفالاً في سينما الحمراء في الصالحية، حضرهُ عدد غفير من المدعوين، وألقيت كلمات لهذه المناسبة، كان من بينهم طيب الذكر المرحوم سامي عبد الرحمن الذي أشاد بتاريخ ونضال الحزب الشيوعي العراقي، وأكد على: أننا جميعاً من خريجي مدرسة هذا الحزب.

في ربيع 1985 عقد الحزب الشيوعي العراقي مؤتمرهُ الرابع تحت شعار إنهاء الحرب وإسقاط الدكتاتورية؛ في جبال كوردستان العراق، وبحماية الأنصار الشيوعيين، وقد جرت خلاله مناقشات حامية حول تطورات الحرب والموقف منها، ولم يتخلّ الحزب عن شعار إسقاط الدكتاتورية، غير أنه أعطى الأولوية لإنهاء الحرب.

وكان النظام الدكتاتوري قد بذل المساعي لافشال عقد المؤتمر، وقام بقصف خيمة المؤتمر بالمدفعية. أنهى المؤتمر أعماله بنجاح، إذ أقر وثائق مهمة كالنظام الداخلي وأجرى عليه بعض التعديلات، وبرنامج الحزب الذي ثبت مهمة إنجاز مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية والإنتقال الى الأشتراكية، وذلك بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي، وحلفائها من الفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع الكادحين، وقيم تجربة العمل السابق من سنوات 1968 الى 1979 وأنتخب قيادة

جديدة، وخول المؤتمر الرفيق السكرتير بأختيار عشرة رفاق لغرض ضمهم الى اللجنة المركزية المنتخبة، كان المؤتمر نقلة نوعية في حياة الحزب التنظيمية والسياسية والفكرية، وأثر إيجابياً على مجمل عمل الرفاق في المنظمات.

في آواخر حزيران 1985 جاءت مفرزة أمنية الى بيتنا وقامت ببيع أثاثنا، وقد أشتراها بعض المعارف ثم أعادوها لنا بعد أن عوضناهم بما دفعوه لشرائها، وهكذا نكون قد أشترينا الأثاث نفسها مرتين.

وفي بداية تموز1985 جاء الأمن وأخذوا زوجتي وأخي رهائن عندهم، وأجبروا أخواتي للذهاب الى كوردستان بهدف التأثير عليّ وعودتي معهم وحينها يطلق سراح زوجتي وأخي، وزودوهم بورقة عدم التعرض لتسهيل مرورهم في السيطرات الحكومية، وعند وصول أخواتي الى منطقة برزان، وسألوا عني، لم أكن موجوداً هناك في حينهِ، فعادوا وأخبروا الأمن بذلك، غير أن زوجتي وأخي بقيا في التوقيف ولم يطلق سراحهما بل وضعوهما في سيارة عسكرية كانت تحمل عددا آخر من عوائل الأنصار وساروا بهم بعيداً عن مركز أربيل، وتركوهم على الحدود الإيرانية، وطلبوا منهم عدم العودة، وبخلاف ذلك ستتخذ إجراءات أخرى ضدهم، وفي الطريق تعاطف مع زوجتي وأخي أحد الجنود وأعطاهم عدة أرغفة من الخبز، وشجعهم على تحمل الصبر، وهو يقول لهم: (هذا حدث مع أختي أيضاً). ساروا مدة من الوقت الى أن وصلوا بيت أحد الفلاحين الذي ناداهم وأستضافهم ليلة واحدة وأطعمهم، وفي صباح اليوم الثاني وعندما لم يجدوا ملاذاً يأويهم، أضطروا العودة الى أربيل بسيارة بيكاب كانت تحمل الماشية، وقد سلم أخي نفسه الى موقف سراي أربيل، وبقي فيه لسنتين سجينا، مع أنه مكفوف، وكان يعتمد على الموقوفين الذين يقدمون له المساعدة في قضاء حاجياته. أما زوجتي فقد أختفت عن الأنظار أكثر من سنتين، وهي تنتقل بين أربيل وشقلاوا وبغداد، لتعاني خلالهما من الخوف والضائقة والإرهاق النفسي، ما لم تعانه أية إمرأة أخرى، ولا سيما عندما كان هناك من يفتح باب بيتهِ لها ببرود، وتضطر لتركهِ، وبالمقابل ثمة القليل من رحب بها وقدم لها المساعدة. وبعد مدة صدر قرار العفو عام 1987 لمناسبة ميلاد الدكتاتور، خرج أخي من السجن، وعادت زوجتي أيضاً الى البيت، وتم رفع الحجز عن المحل، لكن بضاعتهُ كانت قد تلفت، ولم تعد قابلة للبيع والإستخدام.

أما بيتنا الطيني، لتعرض جدرانه، لأنابيب المياه التي تآكل عليها الإهمال، وعدم وجود أصحابه فيه؛ فقد أمسى غير صالح للسكن، من خلال سقوط جداره الخارجي على بيت الجيران، لذا قمنا بتعويض ما أصاب من أضرار للجيران، إضافة الى هدم بيتنا وإعادة بنائهِ من جديد.

بعد السقوط وتغير النظام عام 2003 قدمتُ طلبا الى مدير ناحية عنكاوا، معززاً بالأدلة والوصولات أدعو فيه الى تعويضي عن الأضرار التي لحقت بنا، وبدورهِ أحال الطلب الى المحكمة، وعندما راجعتها سجلوا عنواني ورقم هاتفي على أمل دعوتي للحصول على التعويض، لكن لم أنل أي شيء.

في دمشق حضرتُ مهرجان أقيم في قاعة الأسد للتضامن مع ليبيا عام 1985. كانت القاعة مكتظة بالمدعوين، بحيث لم تعد تستوعب للمزيد من الناس، الأمر الذي دفع بحارس القاعة، أن يغلق أبوابها، لذا فقد ظلت أعداد كبيرة واقفة أمام الباب، تنتظر فرصة الدخول، إلاّ أنه ما أن جاء الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، حتى أمر بفتح الباب، فدخل كل الذين كانوا خارج القاعة، وألقى قصيدة بالمناسبة، وقال أنه كتبها وهو في طريقهِ الى القاعة، كما ألقى قصائد أخرى. ثم قدمت فرقة الطريق العراقية باقة من الأغاني، وأطربت الفنانة شوقية العطار الحاضرين. وكانت

هذه المرة الأولى التي أرى فيها الجواهري الذي كنت شغوفا باشعارهُ، وحفظت قسما منها، كقصيدة " أمين لا تغضب" و "يوم الشهيد" و "قلبي لكوردستان"...

أما المرة الثانية التي ألتقيت فيها بالجواهري، كان في بيتهِ مع الرفيق صباح المندلاوي (أبو النور) زوج أبنتهِ خيال، كان الجواهري جالساً في الحديقة أمام نافورة للماء، إذ كانت الحكومة السورية قد خصصت له هذا البيت ووفرت له الخدمة والراحة اللائقنين بمكانته.

حضرتُ المهرجان الثقافي الذي أقامته مجلة النهج للدراسات الإشتراكية في الوطن العربي، وحضرهُ العديد من قادة الأحزاب وجمهور غفير، وأفتتحه عبدالله الأحمر، وألقيت خلاله الكلمات، وكان من ضمن المشاركين السيد مسعود البرزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في العراق، حيث رأيته لأول مرة عن قرب، ولاحظتُ أن الكثير من الشباب وخاصة الكرد، يطلبون إلتقاط الصور التذكارية معه وبدوره كان يستجيب لطلباتهم.

في بداية عام 1986 بدأت أعاني من بعض المتاعب الصحية، راجعتُ أطباء فلسطينيين بهوية جبهة النضال الشعبي، أحالني أحد الأطباء في مخيم اليرموك الى المستشفى لأخذ أشعة للرأس، ذلك أنه أشتبه في إصابتي بالسرطان، ثم راجعت مستشفى الموأساة في دمشق، حيث قام الطبيب عادل كامل الربيعي، بأخذ الأشعة لرأسي هو الآخر، وبفعل القلق الذي أنتابني من التتشخيص الأول، فقد راجعت الطبيب نبيه رشيدات الذي أحالني الى الطبيب حنا برصوم، ليقوم بأجراء بعض الفحوصات والتمارين لي، وتوصل أخيرا الى عكس ما توقع الطبيب الفلسطيني، ليطمئنني على أن صحتي جيدة، ورأسي سليم. ناولني من صيدليتهِ الخاصة دواء على هيئة أقراص، طلب مني إستخدامها لمدة ثلاثة أشهر، شعرت بعد فترة لتناولها في تحسن وضعي الصحي، كما كنت أعاني أيضا من آلام شديدة في الفقرات، وتم علاجي في مستشفى دير ياسين، وبمساعدة الطبيبة بخشان الدباغ، عالجني طبيب فلسطيني عن طريق زرق الأبر في الفقرات.

بعد عام من عقد المؤتمر الرابع، برزت آراء في الهيئات الحزبية، تتركز في إنتقاد بعض القادة، أزاء موقف الحزب من الحرب العراقية- الإيرانية وأحداث بشت آشان، ولم يكن هذا بمعزل من بعض الرفاق القياديين في الحزب سابقاً، ثم قامت المنظمة بحملة فكرية وأتخاذ الإجراءات التنظيمية، وأنحسر نشاطهم، وسافر قسم منهم الى بلدان المهجر، وهناك سلم عدد قليل نفسه، وتعامل مع النظام الدكتاتوري.

سمعت خبر وفاة الرفيق خالد بكداش، ذهبت الى بيتهِ الواقع في ركن الدين وألقيت النظرة الأخيرة على جنازتهِ وشاركت في موكب التشييع الى مثواه الاخير. وسمعت أيضا بوفاة الرفيق زكي خيري، ذهبت الى مكتب الحزب، كان هناك الرفاق حامد أيوب (أبو سعد) وسعاد خيري وهادي العلوي، كانوا في حالة نقاش حول العبارة التي تكتب على لافتة الجنازة. كان هادي العلوي يطلب كتابة القائد الشيوعي، وسعاد خيري تريد كتابة المناضل، تدخلت وقلت أن كلمة المناضل أشمل ومقبولة أكثر، تذمر هادي العلوي، وهو يقول: (كيف أن آخرين قادة، مع أنهم ليسوا بمستواه)، أجابت زوجته أن وصيته هي كتابة المناضل، ولم أكن أعرف أنني دخلت في مناقشة مع هادي العلوي، مع هذا المثقف الكبير.

في دمشق كنت أزور دوماً الرفيق الشاعر أحمد دلزار، وكان يحب كثيراً الحديث في المواضيع التأريخية، ومولع بحب الزهور والنباتات، وغالبا ما كان يلح عليّ أن أذهب معه الى باب توما للتجوال في شوارعه الضيقة ومشاهدة الكنائس والبيوت القديمة، حتى أنه كان يسمعني بضعة

أبيات شعرية، تعبر عن إعجابه بهذا الحي. وعند سفري الى أربيل زرتهُ في بيتهِ تذكر تلك الأيام التي قضيناها في دمشق من خلال ذاكرتهِ المتقدة.

وفي مساكن برزا في دمشق، كنت أزور دوماً السيدة الماس (أم جوزيف)، وذات مرة كان معي الرفيق أبو شاخوان، وأثناء حديثها معه، سألته عن سليمة، وما حل بها، ذلك لأنها تعرفها من خلال ما كانت تجلبه من مساعدات الى القوش وهي تقول، كانت تأتي من عنكاوا الى القوش، فما كان من أبو شاخوان إلآ أن ضحك، وعندما سألته عن سبب ضحكته، رد عليها قائلا: هذا هو زوجها وأسأليه، أستغربت أم جوزيف وعاتبتني وقالت كنت أظنك من أحد رفاقنا الكرد، فلماذا أخفيت عني حقيقة هذا الأمر طوال هذه الفترة؟ وعندما ترشح واحدا من الرفاق للسفر الى جيكوسلافاكية للراحة والاستجمام، رشحتُ أم جوزيف، لإعتبارات منها أنها أم شهيد وزوجها في الأنصار وأولادها يدرسون في جيكوسلافاكية.

لحاجتي الى هوية عراقية، بالأحرى لعدم أمتلاكي لها، فقد ذهبتُ الى مكتب شؤون العراق في دمشق وحصلتُ على هوية تعريف صادرة من مكتبهم، الذي كان بديلاً عن السفارة العراقية ومعترف بها رسمياً، وقد ساعدتني هذه الهوية كثيراً، خاصة عند خروجي من دمشق الى المحافظات الأخرى، وبمساعدة الحزب حصلت كذلك على جواز سفر من جمهورية اليمن الديمقراطي، وبهذا الجواز سافرت الى جيكوسلافاكية للراحة والإستجمام، أمضيت أول الأسبوع في فندق أنتركونتينتال في براغ، وهناك ألتقيت ببعض الأصدقاء، منهم الاخ بولص بطرس وهو من عنكاوا، إذ ذهب للدراسة منذ سنوات ثم تزوج ولا يزال مقيم هناك، والرفيقة روشن التي كانت تعمل في مجال النقابات، والصديق محمد أمين سراجي الذي رافقني الى بعض الأسواق، وأشتريت بعض الهدايا وتجولنا في شوارع وساحات براغ، ثم ذهبت الى مدينة مريانسكي لازني وأقمت في الفندق الذي توفرت فيه كل وسائل الراحة من سكن وأكل وشرب وحفلات أسبوعية،

كما قمت في زيارة الى بارك، وجدت فيه الكثير من الناس متجمعين حول بحيرة صغيرة يستمتعون بسماع موسيقى هادئة، وخرير المياه المتدفقة من نافورات، أعجبني المنظر كثيراً والتقطت صور تذكارية، بعدها زرتُ مدينة كارلو بيفاري، وبعد أنتهاء المدة المقررة عدت ثانية الى براغ، ومنها الى دمشق، وأنا احمل في نفسي إنطباعات جيدة وجميلة عن براغ، متمنيا زيارتها مرة أخرى.

في سوريا عدتُ لمواصلة العمل والنشاط مع بقية الرفاق، بدأت أحس، أننا قد أنشغلنا كثيراً بما حدث في الأتحاد السوفيتي، سواء كان ذلك في لقاءاتنا اليومية الأعتيادية، أو في حديثنا المتواصل والإجتماعات والندوات علاوة على ما تكتبه الصحافة، وذلك أثر إستلام غورباتشوف الرئاسة، وإعلانه عن برنامجهِ البريسترويكا والكلاسنوست (التجديد والعلنية)، سعيا لتطبيقه عام 1987، ولكن للأسف كانت النتائج سلبية، إذ تم حل المنظومة الأشتراكية، وأنتهى وجودها، وفقدت الأحزاب الشيوعية وحركات التحرر نصيرها الداعم لها في نضالها، وتم تفكيك الأتحاد السوفيتي، وتشكلت بدلاً منه إتحاد الدول المستقلة، وفي ديسمبر 1991 قدم غورباتشوف إستقالتهُ، وبذلك يكون قد أختل ميزان القوى لصالح القطب الواحد عالمياً.

في سنوات الحرب الإيرانية ـ العراقية التي بقت ماكنتها الحربية تدور وتزهق أرواح مئات الآلاف من الناس، وأنزلت بالبلدين خسائر مادية وبشرية لا تحصى ولا تعد وتعوض، ما عدا المفقودين والمعوقين؛ فقد أدت هذه الحرب الضروس الى هروب معظم الشباب من جحيم المعركة، طلباً للنجاة.

في صيف 1987 وصل العشرات من شباب عنكاوا الى سوريا، قادمين من إيران بهدف التوجه الى بلدان المهجر، متخذين من دمشق محطة أولية لهم، كنت أزورهم في بيوتهم وألتق بهم، وأقوم بسفرات معهم، لعلهم ينسون البعض من همومهم، وخلال ثلاث سنوات من وصولهم الى دمشق، سافر معظم هؤلاء الشباب الى دول المهجر كالسويد وكندا وبريطانيا وأستراليا.. وحصلوا على إقامات، وكان الحزب يساعدهم قدر الإمكان في تسهيل أمور السفر، وبعد إستقرارهم وحصولهم على جوازات السفر، بدأوا يعودون الى دمشق بهدف زيارة الأهل أو الزواج، وأذكر ستة شباب قدموا الى دمشق وتزوجوا من بنات سوريات، تحديدا من باب توما، وشاركتهم في مراسم الزواج والأفراح المقامة، وتوطدت علاقتي بعوائلهم وأستمرت لسنوات، إذ كنت أزورهم في مناسبات كثيرة، كما سهلنا لهم مهمة السفر الى كوردستان العراق والعودة ثانية، وبموافقات أمنية سورية لجلب عوائلهم، وقد سكن العديد منهم معنا في نفس البيت.

كان النظام الدكتاتوري العراقي قد أستخدم السلاح الكيمياوي في وادي باليسان وشيخ وسان، ذهب ضحية ذلك الكثير من الأهالي، وفي أوائل حزيران 1987 أستخدم السلاح الكيمياوي على مقرات الأنصار في بهدينان، أستشهد الرفيقان أبو فؤاد ورزكار، وأصيب العشرات من الرفاق في أماكن حساسة من أجسامهم، وذهب قسم منهم للعلاج الى إيران أو سوريا وآخرون توجهوا الى مقرات الأنصار في أربيل، ثم بعدها بدأت حملة الانفال وبعدة مراحل في كرميان وبهدينان، كما تم قصف حلبجة في 17-03-1988 وذهب 5000 شخص ضحية إستخدام السلاح الكيمياوي المحرم دولياً، والقي القبض على الكثيرين وأودعوا في سجن نقرة السلمان وأماكن أخرى، كما تم تصفية الكثير في أماكن إعتقالهم، أما أنصارنا فقد تركوا موقعهم ومقراتهم مضطرين، وتوجهوا الى سوريا وإيران ولم يبق إلآ مفارز قليلة متنقلة، ويمكن القول أن في نهاية 1988 لم يبق لحركة الأنصار، وجودا كالسابق.

وفي هذا الوقت وفي ظل ظروف القصف الكيمياوي وهدم القرى والتهجير القسري، تم وقف الحرب الايرانية- العراقية في 8-08-1988 وبعد مرور ثمان سنوات على إندلاع نيرانها التي أحرقت الأخضر واليابس، وقد عانى منها ولا يزال الشعبان العراقي والإيراني الشيء الكثير؛ في هذا الوقت، كان الخميني قد صرح أن موافقتهِ على إيقاف الحرب، لا تقل شأنا عن شأن تجرعه لكأس من السم.

كان الحزب قد أصدر البيانات التي تدين فيها أعمال القصف والتهجير، ونشطت منظمة سوريا في توزيع هذه البيانات، وايصال صوت الحزب وإدانة الدكتاتورية، من خلال الوفود التي شكلها الحزب، وقمنا بزيارة السفارات الأجنبية المتواجدة في دمشق، وأحيانا كنا نلتقي بممثل السفارة شارحين له الوضع القائم في العراق، ونقوم تسليمه لمذكرات الاحتجاج.

في تموز1988 سافرت للعلاج الى الإتحاد السوفيتي، وكان معي الرفيق عبد علوان (أبو بشرى)، وفي مطار دمشق تعذر سفرهِ، بسبب وجود مشكلة في جواز سفرهِ، لذا فقد سلم لي ما كان يحملهُ من رسائل وبريد حزبي، وعند التفتيش أرادوا فتح البريد الحزبي، أعترضت على ذلك، قالوا نفتح زاوية واحدة منه فقط لنتأكد من أنها أوراق، ولكن بعد أن أنتقلوا الى تفتيش بقية الرسائل، عثروا على جواز سفر عراقي كان مغلف في ظرف، بدأ التحقيق معي أنكرتُ معرفتي بصاحب الجواز، قلت أن هذه رسائل سلمها لي مجموعة من العراقيين كانوا أمام المطار، طلبوا مني فقط إيداعها بالبريد في موسكو، ولم أكن أعرف أن فيها جواز وإلآ لم أكن لأستلمه، وبعد التأخير طلبوا مني كتابة ما قلته على ورقة، وهكذا سمحوا لي بمواصلة السفر. وصلت موسكو ونزلتُ ضيفاً في

فندق اللجنة المركزية وأخبرت الرفيق كمال شاكر (أبو سمير) بما حدث لي في مطار دمشق وبدورهِ أخبر مكتب الحزب بذلك.

في الفندق ألتقيت بالرفيق نيشكين ممثل العلاقات مع الحزب الشيوعي العراقي، تناولنا وجبة الأكل معاً ودار الحديث عن وضع حزبنا وخاصةً الأنصار، وعلمت منه عدم توفر المترجم المرافق لي خلال أيام مكوثي في الفندق، وعرضتُ عليه أن يقوم الصديق سعدي المالح بهذه المهمة وقبل بذلك، وهكذا مكث معي سعدي عدة أيام ورافقني بعدة زيارات للمسارح وحفلات الكونسيرت، بعدها أنتقلت الى المستشفى بهدف العلاج وأجريت لي الفحوصات الطبية الضرورية، وتم علاج معدتي، كما أجريت لي فحوصات كاملة وأخذتُ العلاج الضروري، وتم علاج وقف تدهور بصري بأشعة اللايزر، وأجريت لي عملية الدوالي والعلاج الطبيعي.

في المستشفى ألتقيت بالدكتورة نوال السعداوي المدافعة عن حقوق الإنسان بشكل عام والمرأة بشكل خاص، كما وأنها مختصة بالطب النفسي، وألتقيت بالسيد عزيز شريف رئيس مجلس السلم العراقي وعضو مجلس السلم العالمي والذي كان له مكانة خاصة لدى السوفيت، وقال أنه سوف يتحدث عن ذكرياتهِ يوم غد وبحضور الكثير من المرضى من الدول العربية وللأسف لم أتمكن من الحضور بسبب موعد العملية.

في المستشفى ألتقيت بالعديد من الرفاق، أذكر منهم سيدتان من أفغانستان كانت إحداهن زوجة وزير الخارجية، أهديتها شريط أغاني فارسية للمغنية الإيرانية كوكوش و كيتا، كما كان في المستشفى سفير أفغانستان في دمشق وقد جاءني وأخذني الى غرفتهِ، رأيت المائدة عامرة بالمشروب، قلتُ له ما هذا أنها مستشفى، أجاب أنها مناسبة، فقد توفي عدونا رئيس باكستان ضياء الحق، وعلينا ان نحتفل بهذه المناسبة، كان معي في نفس الغرفة الرفيق النصير ئاشتي المصاب باطلاقة نارية في ظهرهِ، شلت رجليهِ، بدأنا بشرب النخب، وفي الختام طلب مني زيارتهُ عند العودة الى دمشق وإستعداده لتزويدي بجواز سفر أفغاني. كان معي أيضا رفيق من مصر، يتناول المشروب بكثرة داخل المستشفى حد الثمالة، وكان لا يكتفي بما يستلمه من حبوب الفاليوم المنومة، ويستولي على حصتي أيضاً، ذلك أنني لم أكن أتناولها مراعاة لصحتي.

كانت معنا رفيقة عربية من الحزب الشيوعي الأسرائيلي (راكاح)؛ كانت غالبا ما تحدثني عن حزبها ودوره ونضاله وظروف عملهِ ودعمه لقضية الشعب الفلسطيني، وذات مرة شاركنا في الجلسة، شخص روسي، قال أن له هواية جمع قطع النقود، فأخرجت هذه الرفيقة الأسرائلية قطعة نقدية من حقيبتها وأعطتها له ، ولكن بعد أيام طالبتني بأعادة هذه القطعة لها.

مستشفى اللجنة المركزية كبير جداً، ويحتوي على أقسام عديدة، وكنت راقد في الطابق السابع منه - قسم العيون - كنت أنزل بعد الدوام أمشي وأجلس قرب بحيرة في وسط الغابة، وذات مرة كان بيدي تفاحة تفاجأت بصعود سنجاب على كتفي، أعطيتهُ التفاحة، تناولها وتسلق الشجرة مسرعاً، وعلى ما يبدو، أن هذه الحيوانات الأليفة لا احد يؤذيها.

كان معي رفيق من اليمن الديمقراطي، لم يقبل أن يفحص الطبيب شرجه، عن طريق الأصبع، لكون هذا الأمر، غير مستساغ في بلده، إن لم يكن من المستحيلات.

بعد العلاج في المستشفى، تم نقلي الى مصح في كازاخستان وأخذت كورس من العلاج الطبيعي، عن طريق وضع الطين الدافيء على أكتافي وظهري والدخول في أحواض المياه الكبريتية، وذات مرة أردت دخول الحوض بملابسي الداخلية، رفضت الممرضة، لذا أصبحت مضطراً وبخجل كبير أن أدخل الماء عارياً.

وفي مطعم المصح، كنا ثلاثة على مائدة واحدة، أنا وسكرتير الحزب الشيوعي في نيوزيلندا، ورفيق من الحزب الشيوعي الهندي، كان هذا الرفيق يخلط الماء في كأس البيرة ثم يشربهُ، وكانت عاملة المطعم بين حين وآخر، تسألنا عن رأينا في الأكل، وما نرغب في اضافتهِ عليه، وعندما طلبنا إضافة العسل، كانت في كل وجبة تجهز مائدتنا بالعسل، وقبل مغادرتنا للمصح أعطتنا عاملة المطعم كمية من اللوز بناءاً على طلب الرفيق الهندي، وبعدها ذهبت الى السوق لشراء بعض الهدايا التذكارية، كما زرتُ قاعدة إطلاق المركبات الفضائية في كازخستان.

بعدها عدت الى موسكو ونزلت في نفس الفندق، وخلال أيام مكوثي فيه، قمت بزيارة الى الصديق نظير إسحاق في القسم الداخلي التابع لجامعة موسكو، جلسنا معاً وجاءنا السيد صباح ياقو، وشاركنا في الجلسة، تبادلنا خلالها أحاديث ودية، والأخبار التي تصلنا، وعلى نحو خاص فيما يتعلق في وقف الحرب العراقية - الإيرانية الكارثية التي ألحقت بالشعبين خسائر مادية وبشرية فادحة لا تعوض.

بعد مرور ما يقارب على ثلاثة أشهر، وفي شهر أيلول 1988، عدت مرة أخرى الى سوريا وأستأنفتُ العمل في منظمة الحزب. كانت سوريا محطة مهمة يتواجد فيها الكثير من المهاجرين من الدول العربية، سواء لأسباب سياسية، أو بوصفهم جاءوا للأصطياف، أو لزيارة الأماكن الدينية المقدسة، وكذلك للسفر الى بلدان المهجر المختلفة، وكان مسموحا لهم البقاء دون أوراق الإقامة، وكان من بين هؤلاء القادمين العديد من رفاقنا، بسبب الأوضاع السياسية السائدة في العراق، وكان علينا أستقبال رفاقنا القادمين بهدف العلاج أو الزمالات الدراسية، وكان لنا لجنة تقوم بمهمة إسكانهم وترتيب ما يحتاجونه، وكنا بإنتظام نوزع أدبيات الحزب، كجريدة طريق الشعب ورسالة العراق والثقافة الجديدة ورسالة العراق ومجلة النهج، إضافة الى منشورات نوفوستي التي تصلنا يومياً.

وكان لنا مكتب إعلام يعمل فيه العديد من الرفاق الكتاب والصحفيين المعروفين الذين يؤدون مهاما إعلامية على أكمل صورة. وعمل العديد منهم في إعلام الدول العربية والعراقية، أذكر منها جريدة الشرق الأوسط والصحافة الفلسطينية وإذاعة العراق الحر وصوت العراق التي كانت تبث من سوريا.

في سوريا كانت الأجواء مناسبة للتثقيف الذاتي، والحصول على مختلف الكتب من المكتبات، إضافة الى متابعة ما تنشرهُ الصحافة العراقية بمختلف إنتماءاتها، والمشاركة في الندوات المقامة، أثر التغير في الإتحاد السوفيتي (البريسترويكا)، كان لنا رفاق يعملون في مجال العلاقات الوطنية ومع الأحزاب الشقيقة والصديقة، ناهيك عن التزاماتنا وعقد الإجتماعات التثقيفية يمليها علينا البرنامج الحزبي السنوي.

كان لنا رفاق يعملون في مكتب الحزب المركزي بدمشق، ويؤدون مهام مراجعة الدوائر الحكومية السورية، والمكتب نفسه له مهام عديدة تتعلق بقيادة الحزب.

كان للحزب مكتب آخر في القامشلي، مهمته تسهيل عبور الرفاق الى داخل الوطن والإلتحاق بفصائل الأنصار، للحصول على موافقات أمنية رسمية لدخول العراق والعودة عبر معبر فيشخابور.

في عام 1989 وصل الى دمشق الرفيق جورج منصور مع زوجتهِ بعد أن أفرج عنه من سجن إفين في إيران، أستقبلتهُ بفرح ودعاني مرات عديدة في بيتهِ لتناول الغداء، وفي بيتهِ ألتقيت بالرفيق

عزيز محمد وأحمد باني خيلاني والدكتور كاظم حبيب وأبو سيروان وأبو شاخوان، وكانت تدور بيننا أحاديث ودية وسياسية، وتقوم زوجتهُ بأعداد الطعام والشراب لنا،، وأذكر أن الرفيق عزيز كان يداعب طفلهم الصغير (ريناد)، أما الآن لقد سطع نجمه، وأصبح له نشاط إعلامي وثقافي، وقد رحل عنا جميعهم ما عدا الرفيق جورج منصور وعائلتهِ، وتركوا عندنا فراغاً كبيراً بعد ان ترك كل واحد منهم بصماتهُ في مجال العمل الأنصاري والحزبي سواء في أيام العمل السري أو العلني، وكثيراً ما تتردد أسمائهم على السنة الرفاق.

ذات مرة كنت في زيارة لعائلة عراقية تسكن منطقة سبع بحيرات في دمشق، وصادف وجود الرفيق فخري كريم (أبو نبيل) هناك، خرجنا معاً وعرض عليّ أن أركب سيارتهُ ليوصلني الى البيت، فرفضتُ ذلك، لكنهُ ألح وقال أنها سيارة الحزب، وفي الطريق فاتحني لمعرفة وجهة نظري بالذهاب الى أمريكا للعمل في منظمة الحزب هناك، فرفضتُ وقلت له أن وضعي الصحي لا يساعدني على أداء هذه المهمة، وفي وقت آخر جاءني الرفيق حميد برتو وأخبرني في نية الرفاق بأرسالي الى بلغاريا، بسبب معرفتي السابقة بالرفاق المتواجدين فيها ، فعبرت عن موافقتي وأستعدادي، وبقيت أنتظر طويلاً، لكن ذلك لم يحدث، بسبب التغيرات التي حدثت في منظومة الدول الأشتراكية، خاصةً بعد تفكك الإتحاد السوفيتي اذ تغيركل شيء، وفي هذا الوقت كان الحزب يسعى للتخفيف من تواجد الرفاق والأعباء المالية في سوريا، لذا فقد سمح الحزب لتوجه العديد من الرفاق الى بلدان المهجر المختلفة وساعدهم في ذلك.

كما جاءني ذات مرة الرفيق حميد مجيد موسى (أبو داود) لمناقشة مسألة الهجرة واللجوء، أبديت رأيي، وقلت على الحزب أن لا يسد أبواب السفر، لأن هناك من هو مستعد لكسرها خاصةً في ظل تغير الأوضاع. في
عام 1989 ألتقيت بالرفيق وردا البيلاتي (أبو ميسون)، وكان قد قدم من كوردستان العراق بعد حملة الأنفال والقصف الكيمياوي، بقى في دمشق بعض الوقت ثم سافر الى بلغاريا للدراسة الجامعية، بعدها كتبت له رسالة طلبتُ منه تكليف شقيقهِ الموجود في كركوك خنانبا اوديشو لمساعدة زوجتي سليمة للخروج من العراق، وبالفعل ذهب وأخبرها بطلبي، ولكن ظروفها لم تكن مهيئة للسفر، ثم التقيتُ بالرفيق صبحي (أبو سربست) الذي عبر عن إستعدادهِ لمساعدة زوجتي وإيصالها الى دمشق، وبالفعل كلف أحد معارفهِ من الأخوة اليزيدية، حيث ذهب معه ووصل الى بيتنا، وأخبر زوجتي بالموضوع الذي جاء من اجلهِ، غير أنها خافت وتفاجاءت ولم تكن مطمئنة لعدم معرفتها بالشخص القادم، طلبت منه أن يمنحها فرصة لتتهيأ نفسها، لذا فقد زودها بعنوانهِ لتأتيهِ بعد أيام، وبالفعل سافرت برفقة أختها وشقيقها وعائلتهِ للتمويه، وتوجهوا الى مجمع حطين، وعند وصولهم كان هناك من سألهم عن سبب قدومهم أجابهُ شقيقها أن له صديق كان معه في العسكرية وسرح من الجيش لذلك جاءوا لزيارتهِ، بعدها وصلوا الى البيت المعني حسب العنوان، أستقبلتهم زوجتهُ وهيأت لهم الطعام، وأخبرتهم أن زوجها في الحصاد ومفرزة الأنصار قد غادرت المنطقة، هكذا فشلت هذه المحاولة وعادوا مرة ثانية الى عنكاوا.

كنت قد كتبت رسالة الى قيادة الحزب شرحتُ فيها عن وضعي الصحي وخاصة تدهور بصري، وأشرت فيها الى أنني سأكون بحاجة الى من يساعدني لأن ساءت حالتي أكثر، لذا فأن تواجد زوجتي معي ضروري جداً، لا سيما وهناك قرار سابق في مجيئها، بعدها بأيام جاءني الرفيق سليم أسماعيل (أبوعواطف)، جلسنا معاً وأستمع الى مشكلتي، فقال لا يوجد لنا طريق لإيصال زوجتك، بسبب مرور الحزب في ظروف صعبة جداً، لكنني قدمت له بعض الأمثلة بوصول عدد من عوائل الرفاق، غير أنه نفى علمهُ بذلك، وهكذا أنتهى اللقاء من دون نتيجة.

والجدير بالذكر، في هذا الوقت، كان النظام العراقي قد خفف عن القيود المفروضة سابقاً على السفر، بهدف أمتصاص نقمة الناس والتخفيف بعض الشيء عن معاناتهم، طيلة سنوات الحرب.

كانت زوجتي قد سمعت بأن بعض الناس يسافرون الى هنغاريا ويوغسلافيا، لذا فقد ذهبت الى بغداد وبمساعدة شقيقها يلدا الذي كان يعمل في ستوديو للتصوير في بغداد، لتقديم طلب للحصول على جواز سفر الذي حصلت عليه في نفس اليوم، ثم عادت الى عنكاوا لتوديع الأهل وتدبير مبلغ بسيط يساعدها على شراء تذكرة السفر.

في الأول من تموز 1990 كانت هناك إمرأة تنوي السفر الى هنغاريا، تعرفت عليها زوجتي عن طريق شقيق الشهيد حبيب المالح، وقد عبرت عن إستعدادها لتقديم كل المساعدة الممكنة لها أثناء السفر، وكانت هذه المرأة تنوي السفر الى يوغسلافيا ثم هنكاريا لزيارة أبنها الذي يدرس هناك، فكانت فرصة ثمينة لا تعوض، وبالفعل كانت عوناً كبيراً لزوجتي. بعد وصولهم الى هنغاريا جاء السيد إبراهيم حنا وألتقى بزوجتي وأخذها الى بيتهِ، ففرحت زوجتهُ إيمان لويس بوصولها، وكانت قد جلبت لها بعض الهدايا المرسلة من أهلها، ونقلت لهم أخبارهم، ومكثت عندهم عدة أيام، ثم أتصلوا بمكتب الحزب في دمشق، وعلمت من خلالهِ بوصولها الى هنغاريا، وكانت فرحتي كبيرة ومفاجئة لم أكن أتوقعها. أتصلت بها وأخبرتني بموعد قدومها الى دمشق، وحسب الموعد المقرر ذهبت الى المطار وأنا بأنتظار وصول الطائرة ولقاء زوجتي، وهنا لا أجد الكلمات التي بوسعها أن تعبر عن مشاعري، للفراق الذي دام بيننا أكثر من ثلاثة عشر عاما، وقد تجرعت زوجتي خلالها الكثير من العذاب والمعاناة.

على أية حال، فقد تحقق الأمل، وأصبح الحلم حقيقة بعد جمع شملنا، ثم عدت الى البيت برفقة زوجتي، وكان يقع بيتنا في مسبقة الصنع قرب مركزالبحوث العلمية، وقد شاركني الرفاق بفرحتي هذه من خلال زياراتهم وتقديم التهاني. جدير بالذكر أن شقتنا كانت جيدة من حيث البناء والتأثيث، وفيها حديقة وبشكل عام مريحة للسكن. كما وتغير نمط حياتي من حيث الإنتقال من حالة العزوبة الى الحياة العائلية.

بدأت زوجتي تخبرني بأمور كثيرة وتسرد لي روايات وأحداث شاهدتها أو مرت بها، كانت معظمها غائبة عني طيلة هذه السنين، وكنت أستمع اليها بأنتباه وشوق ولهفة، لأنني كنت متعطشا لسماع ومعرفة كل شيء. وبدأنا نخرج معاً الى مساكن برزا وأسواقها وخاصة سوق الخضرة، نتجول في مركز دمشق وسوق الحميدية والجامع الأموي والصالحية والمرجا وفي ركن الدين وبرزا ومخيم اليرموك ودمر وباب توما، لاحقاً في دير صدنايا ومعلولة، وأصبح لها خبرة ومعرفة في مختلف الأماكن الموجودة في دمشق، بلغت حد تحولها الى مرشدة للقادمين الجدد.

كانت زوجتي تعاني من القلق، بسبب الخوف والمعاناة الصعبة التي تعرضت لها من ملاحقات الأجهزة الامنية، بما فيها الإعتقال والتهجير، وكثيراً ما كانت تبكي أثناء نومها، بسبب الكوابيس التي تلاحقها، ثم تستيقظ وهي خائفة ومذعورة، وكان عليّ أن أقوم بتهدئتها وإطمئنانها على أننا في أمان وبمنآى عن ملاحقات النظام العراقي، وبمرورالزمن طفقت هذه الكوابيس تخف عنها تدريجيا، لكنها تأتيها بين فترة وأخرى، أي لم تزل كلياً، وسعيت الى خلق أجواء جديدة لها، وذلك من خلال الزيارات المتكررة الى معالم دمشق وبعض المحافظات الأخرى كالقامشلي والحسكة وحلب وزيارة المعالم التأريخية والمتاحف وكذلك زيارة عوائل سورية وعراقيةً.

قبل وصول زوجتي كان يسكن معي الرفيق هادي علي لفته (أبو عادل السياسي)، وهو عنصر نقابي معروف، وقد سافر بعد وصول زوجتي بفترة قصيرة، ثم جاء بعده الرفيق عيسى جرجيس

عسكر (خيري)، قادماً من الإتحاد السوفيتي، وبقى هو الآخر ثم سافر الى كوردستان العراق بعد أن أمضينا أياماً جميلة وممتعة لا تزال حية في الذاكرة، وذات مرة شعر بقلق كبير بسبب سماعهِ خبر وفاة شقيقهِ عزيز جرجيس عسكر، ذهبنا معاً الى مكتب الحزب في دمشق وأرسلنا برقية لمعرفة صحة الخبر، ثم فاجئنا الجواب بأنه على قيد الحياة، وهكذا زال عنه القلق، وذهب ذات مرة برفقة الرفيق لبيد عباوي (أبو رنا) لزيارة جمع من المهجرين الذين كانوا قد دخلوا سوريا، ألتقينا بهم وأستمعنا الى مشاكلهم ومطالبهم التي نقلناها الى الحزب.

4

وكان قد مر حوالي سنتين على وقف الحرب العراقية – الإيرانية التي بقت جمرتها تحت الرماد، وبإنتظار فرصة أخرى لتشعل فتيل حرب أخرى، وكان هذا ما حدث في الثاني من آب 1990، عندما قام الجيش العراقي بغزو الكويت، وتم الاعلان عن حكومة صورية مؤقتة بقيادة العقيد علاء حسين ثم بعدها تم الاعلان عن ضم الكويت الى العراق وإعتبارها المحافظة التاسعة عشرة، وتم تعطيل عمل جميع السفارات الأجنبية في الكويت، وقد أنتقلت حكومة الكويت للعمل في مدينة الطائف في السعودية، بهدف كسب الرأي العام العربي والدولي لإرغام النظام العراقي على الإنسحاب، وبقت على هذه الحالة حوالي سبعة أشهر، جرى خلالها بذل مساعي سلمية وتقديم النصائح للنظام العراقي للعمل بمنطق العقل لتجنب وقوع كارثة، مدركين مدى خطورتها ونتائجها الكارثية، غير أن رأس النظام وكعادتهِ بقى متعنتاً ومتباهياً بكبريائهِ الزائف وغير مبال بالمساعي الحميدة، وقد أثبتت الأيام صحة تلك التوقعات، ذلك أن أستعدادات قوى التحالف كانت قائمة على قدم وساق لتوجيه ضربة للجيش العراقي المتواجد في الكويت لأجبارهِ على الإنسحاب وتحرير الكويت، وكان هذا ما حدث بالفعل في الأول من آذار 1991، إذ شن التحالف الدولي حملتهِ العسكرية، وأطلقت طائراتهِ من الجو قنابلها الكاسحة، لتفتح باب الجحيم، ويتلقى الجيش العراقي ضربة قاصمة دمرت قوتهُ العسكرية، وشلت قواه وتدنت معنويات الجنود الى درجة الصفر، ودب اليأس والذعر والهروب وحالة التذمر في صفوفهم.

في 3 آذار 1991 عقد، إجتماع في خيمة صفوان على الحدود العراقية – الكويتية، كان الوفد العراقي برئاسة وزير الدفاع سلطان هاشم والوفد الامريكي برئاسة الجنرال نورمان شوارتسكوف وبحضور وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز وهو قائد القوات العربية والأسلامية المشكلة آنذاك وبحضور ممثل الجانب الروسي يفكيني بريماكوف وزيرالخارجية، وكان الوفد العراقي قد تلقى إشارة موافقة من رئيس النظام العراقي، وتم التوقيع على الإتفاق وبنودهِ التي تخص إنسحاب الجيش العراقي وإلغاء جميع القرارات والتشريعات التي أصدرها النظام العراقي بخصوص الكويت، وتبادل الأسرى بين الجانبين وأعتراف العراق بسيادة الكويت وتثبيت الحدود و بقرارات الامم المتحدة، والتنازل عن عشرات الكيلومترات من الاراضي العراقية التي كان فيها ثلاث عشرة بئرا من النفط، وموافقة العراق على الحظر الجوي وتحجيم جيشهِ بتسريح 40% من قوتهِ وإلزام العراق بوضعهِ تحت الوصايا الدولية، هكذا وقعت هذه الأطراف على بنود ما عرف بإتفاقية خيمة صفوان التي كانت مذلة للعراق. وجدير بالذكر أن العراق ألزم بدفع ما مقداره أثنتان وخمسين مليارا من الدولار، كتعويضات للكويت ودفعها بالفعل، بغض النظر عما عاناه الشعب العراقي من ويلات الحرب والحصار الاقتصادي.

في الثاني من آذار 1991، كانت الشرارة الأولى للإنتفاضة في الجنود، قد أندلعت، عندما أطلق جندي من دبابتهِ قذيفة موجهة الى جدارية صدام في ساحة السعد في البصرة، وصفق له الجنود المنشقين والمتمردين على قيادة الجيش وأوامر صدام، وقد شاركتهم الجماهير الغاضبة والناقمة، ما أدى السيطرة على معظم أحياء البصرة خلال يومين، ثم أنتقلت هذه الشرارة الى بقية المحافظات، ولم يبق للنظام العراقي غير العاصمة بغداد، وكانت الجماهير قد حررت وأستولت على الكثير من المؤسسات، وترك الجيش هارباً من مواقعهِ. بعدها بوقت قصير أستعاد قوتهُ وبدأ بشن حملة معاكسة لإستعادة ما فقدهُ، وبدأ من البصرة التي أستعادها الحرس الجمهوري، مرورا بالمحافظات الأخرى التي أستعادها بقوة الحديد والنار غير مبال بتضحيات وأرواح الناس.

في 31 آذار 1991، صادف حلول عيد القيامة، الذي يحتفل فيه المسيحيون كل عام. وبينما كانت العوائل في عنكاوا تستعد الإحتفال لهذه المناسبة كعادتهم، من خلال قيامهم بتبادل الزيارات وتقديم التهاني وأداء الطقوس الدينية في الكنائس، دب الخوف والذعر في نفوسهم، نتيجة دخول الجيش العراقي مدينة أربيل، لإعادة السيطرة عليها ثانية، بعد أن كانت قوات البيشمة ركة الكردية قد سيطرت على كل أراضي كردستان، وطردت قوات النظام منها؛ وبدءوا حرصا على حياتهم التوجه الى الأماكن العصية، أو التي في تصورهم من الصعوبة على الجيش الوصول اليها، لذا فإن معظم سكان عنكاوا لاذوا بالفرار الى شقلاوا، والقسم الأكبر منهم مشياً على الاقدام، تاركين ورائهم كل ما سبق أن شيدوه بعرق جبينهم.

والمؤلم بالنسبة لي ما عاناهُ أخي المكفوف صباح عند هروبهِ برفقة عائلة أختي وما سبب لها من متاعب. كان الجيش العراقي قد قتل ثلاثة من شباب عنكاوا أثناء القصف، مع ثلاثة آخرين، لاحقا. أستمرت قطعات الجيش العراقي بالهجوم والتقدم، وفي الطريق المؤدي الى شقلاوا تصدت له مجموعة من البيشمركة ومن ضمنهم رفاقنا الأنصار فأصابوا دباباته بسلاح آر بي جي في منطقة كوري، ما أدى الى إيقاف تقدمه، فضلا عن إجباره على الإنسحاب، ولا تزال الدبابات المعطوبة باقية تشهد للتاريخ بطولات البيشمركة، أما العوائل التي وصلت شقلاوا، فقد توزعت بين ضيافة المعارف وبين الكنيسة. وفي صباح اليوم الثاني توجهت أختي مع زوجها وأولادها وأخي صباح نحو ديانا ثم الى قرية قره قول التركية، حيث مكثوا في العراء عدة أيام، وعانوا من التعب بسبب قطع المسافات الطويلة مشياً على الأقدام، إضافة الى الجوع والبرد وقد بدا الإرهاق الشديد على ملامح أخي صباح، الأمر الذي أدى بأولاد أختي لأن يحملونهُ على ظهرهم، هذا الإرهاق الذي جعله أن يصيب بأسهال شديد، فقرروا إعادتهِ الى شقلاوا مع أختي تريزية وأبنها، ومن هنااك عادوا الى عنكاوا وسكن مع عمتي شوني.

كانت طائرات دول التحالف ترمي من الجو بعض المساعدات كالمواد الغذائية والخيام التي ساعدت هذه العوائل وحمتهم من البرد والجوع، وبعد فترة تم نقلهم بالسيارات الى مخيم شمدلي وفي منتصف شهر حزيران 1991 تم نقلهم الى سلوبي، وبقوا هناك برعاية دولية حيث زودوا بالخيم ومواد الأكل فتحسن وضعهم وأستقر.

في دمشق وعندما سمعت بما حدث، ذهبت الى السفارة التركية وحصلت على رقم هاتف مخيم سلوبي وأتصلت بأختي وزوجها للإطمئنان على وضعهم.

وكانت كوردستان قد وضعت تحت الحماية الدولية، ضمن خط عرض 36 لمنع الطيران العراقي، من إختراق أجوائها، بحيث لم يعد بأمكان النظام العراقي فرض سيطرتهِ عليها. وكانت أجهزة قمع السلطة، مثل دوائر ألأمن والمخابرات ومنظمات حزب السلطة، قد أنتهى

دورها، وأنسحبت قطعات الجيش والعديد من إداراته ومؤسساته تحت ضغط الجماهير، وفي ظل هذه الظروف، وبعد زوال الخوف من قلوب الناس جعل الكثير منهم يفكرون بالعودة الى منازلهم بعد أن تركوها مرغمين.

في تموز 1991 عادت أختي وعائلتها الى عنكاوا مع عوائل أخرى. أما أولادها ضياء وصفاء فقد توجها الى سوريا ومعهما عدد من شباب عنكاوا، وأتجهوا الى مخيم الهول في الحسكة، وعندما سمعنا بخبر وصولهم، ذهبت مع زوجتي لزيارتهم وتفقد وضعهم، وبعد تعب وعناء ألتقيناهم في المخيم، ومكثنا معهم ليلة واحدة، بعدها عملنا لهم كفالة بمساعدة الحزب، وأخرجناهم من المخيم وسكنوا معنا في نفس البيت بدمشق، وبقى عدد آخر من أصدقائهم في الحسكة لمدة مؤقتة، ثم ألتحقوا بهم في دمشق، كما وجدت لأولاد أختي عملاً مناسباً وبأجور زهيدة لدى أحد الحدادين في مساكن برزا، ومكثوا عدة أشهر ثم عادوا الى عنكاوا، بعد أن ألحت عليهم العائلة.

وفي أحد الأيام أتصلت بي الرفيقة أم إيمان من موسكو، وطلبت مني رقم هاتف الدكتور ناظم الجواهري الموجود في النمسا، وقالت أن أبنه يرغب بالأتصال بهِ، وبدوري حصلت على رقمهِ عن طريق أبن عمي الموجود في النمسا وأرسلتهُ لها، ثم عادت لتتصل بي مرة ثانية، وطلبت مني إبلاغ الحزب بأنها بحاجة الى جواز سفر عراقي، بهدف زيارتها لأختها الموجودة في كندا، بعدها ذهبت الى مكتب الحزب بدمشق وأخبرت الرفيق حامد أيوب بطلب الرفيقة أم إيمان، ليتولى القيام بالمهمة، بعدها بأشهر وصلت الرفيقة أم إيمان الى دمشق بهدف المشاركة في مؤتمر المعارضة العراقية المنعقد في بيروت.

وبعد العودة من بيروت زارتنا في بيتنا بدمشق وتحدثنا كثيراً عن لقاءاتنا السابقة في موسكو، وأمضينا ساعات جميلة معاً، وتركت أثارا طيبة في نفوسنا، خاصة بعد أن تعرفت على زوجتي، وللأسف علمت في نهاية شهر تشرين الثاني 2022 بخبر وفاتها، وقد حزنت من أعماق قلبي عند سماعي هذا الخبر، وقد كتب عنها الكثيرون عبر وسائل التواصل الأجتماعي.

في أحد الأيام، كنا جالسين على مائدة الإفطار، ومن النافذة رأت زوجتي شخصاً يلتفت يميناً ويساراً كأنهُ يبحث عن شيء، وقالت ربما أنه يبحث عن بيتنا، خرجت وسألتهُ، وإذا به البروفسور الكوردي مصطفى رسول الذي كان يبحث عن بيت بيان كريم أحمد، أخبرتهُ بأنها قد تحولت الى مكان آخر، طلبت منه الدخول ورحبنا بهِ وشاركنا في الفطور، وبعد الفطور طلب مني مرافقتهِ الى مساكن برزا، ومن هناك أستقل سيارة أجرة، متوجهاً الى مركز المدينة، وجدير بالذكر أن الحكومة السورية كانت وقتذاك تقدم مساعدات لمختلف أطراف المعارضة العراقية، وكانت قد فتحت بوابة فيشخابور على الحدود العراقية السورية للدخول والخروج وبموافقات أمنية فقط، وقد ساعد ذلك العديد من العراقيين الذين قدموا من بلدان المهجر للدخول الى كوردستان العراق بهدف زيارة أهلهم أو الزواج وجمع الشمل، وقد أستقبلنا أعداد كبيرة من الذين دخلوا سوريا سواء، للعلاج أو السفر، وقد سكن معنا في نفس البيت ولمدد مختلفة حوالي خمس عشرة فتاة، لزواجهن بشباب من مختلف بلاد المهجر، وكنا نستقبلهم بكل رحابة صدر، ونقدم لهم المساعدات الضرورية المطلوبة خلال مدة تواجدهم واثناء سفرهم للالتحاق بذويهم.

في أحد الايام أستقبلنا في دمشق أختي وزوجها وأطفالها ومعهم عائلة أخرى كانوا قد وصلوا من عنكاوا، بهدف زيارتنا ومكثوا معنا حوالي أسبوعين، تجولنا خلالها في مناطق عديدة من دمشق، تعرفوا على بعض معالمها، وهناك العديد من الذين أستقبلناهم لمدد مختلفة ولا يسع المجال هنا لذكر كل الاسماء، غير أنه في أحد الأيام أستقبلنا مكالمة هاتفية من الرفيق سعيد شابو من السويد،

ليخبرني بموعد دخول زوجتهُ برناديت وابنهُ فيدل الأراضي السورية، لذا فقد سافرت زوجتي، وأستقبلتهما في القامشلي، وعادت بهما الى بيتنا في دمشق، ومكثوا معنا حوالي ستة أشهر، وتلقوا منا المساعدة المطلوبة.

كانت المرة الأولى آذار 1980 عندما زرت دير صيدنايا في سوريا مع عدد من الأصدقاء وتكررت زياراتي لهذا الدير عدة مرات، خاصة بعد وصول زوجتي وتواجد العراقيين من أهالي عنكاوا الذين قدموا الى دمشق بأنتظار السفر الى بلدان المهجر،

كما نظمنا عدة سفرات معهم الى أماكن عديدة، منها دير صيدنايا لحضور مراسم القداس المقام في كنيسة الدير، وجدير بالذكر أن إدارة الدير تولي إهتماما كبيرا بالزائرين، من حيث توفير غرف الراحة لهم والمبيت فيه ليلاً بدون مقابل، وأمضينا يوماً جميلاً أطلعنا فيه على الدير المبني على تلة مرتفعة، يمكن الصعود اليه إما عن طريق المصعد الكهربائي، أو مشياً على الاقدام، سمعنا رواية تشبه أسطورة مفادها، أن اميراً كان يطارد غزالة بهدف أصطيادها، وعندما حاصرها في هذا المكان، ظهرت له فتاة، طلبت منه، بناء الدير فوق هذا التل.

بعدها بأيام ذهبنا الى زيارة معلولة وقد صعدنا الى دير مار تقلة عبر وادي ضيق وهناك حضرنا قداس في كنيسة قديمةً، أشتريت كاسيت فيه تسجيل لقداس الكنيسة، ألتقينا بعدد من الراهبات، كان كل شيء في موضع إعجابهن وإرتياحهن.

في العديد من المرات نزور باب توما خاصة ايام الأعياد، ونشارك في المسيرات الدينية المقامة في هذه المناسبات، ونحضر القداديس أيضاً، ونزور عدد من العوائل التي تربطنا بها علاقة بحكم أن البعض من شباب عنكاوا قد تزوجوا بناتهم.

في دمشق كان يقام سنوياً "معرض دمشق الدولي" تشارك معظم الدول فيه، وكان يكتظ بالزوار في أيام الصيف الجميلة، زرت جناح كوريا الشمالية وسجلت في سجل الزيارات بعض الملاحظات، عبرت فيها عن إنطباعاتي، وكان هذا موضع أرتياح مشرف الجناح.

في مناسبات عديدة، كنا نصعد جبل قاسيون بالسيارة ونجلس في أحد المقاهي أو نفرش الأرض ومعنا الأكل والشرب، ونلقي نظرة على معالم دمشق التي تبدو جميلة في الليل من على هذا المرتفع، والهواء البارد العليل ينعش نفوسنا.

كما كنا سنوياً، نشارك الحزب الشيوعي السوري في الإحتفالات التي يقيمها لمناسبة عيد الجلاء الذي يصادف في 17 نيسان في مدينة القنيطرة التي كانت مهدمة وبنيت بدلاً عنها مدينة جديدة، كانت آثار الدمار بادية على البيوت القديمة، مرة أقتربت من الأسلاك الشائكة التي تفصل الجانب السوري عن الجانب المحتل، حذرني أحد الجنود من لمس الأسلاك، لأنها مرتبطة بجهاز إنذار، كما وأن الارض ملغمة، وبين وقت وآخر تعبر دوريات إسرائيلية، وهي تؤدي مهمتها المحصورة في المراقبة والكشف، ولم يكن هذا الجندي قد أكمل كلامه، حتى شاهدنا بالفعل دورية إسرائيلية، ومن المعروف أن هذه الأراضي قد أحتلت منذ حرب حزيران 1967، ولا تزال هضبة الجولان بيد الإحتلال الإسرائيلي. كان هناك قوات فصل دولية ولا يسمح بدخول هذه المنطقة، إلآ بهذه المناسبة. ومن الأماكن الأخرى التي قمنا بزيارتها قلعة حصن وقلعة حلب الأثرية والقامشلي والحسكة وتل تمر.

قدمت طلباً الى مكتب الأمم المتحدة (يو أن) في دمشق وبعد المقابلة التي أجريت معي، تم قبولي ووفرت لي الحماية، وبعد زيارة بيتنا حصلنا على مساعدة شهرية قدرها 100 دولار أمريكي، ما ساعدنا على تسهيل بعض أمورنا المعيشية، هذا إضافة الى العلاج الطبي المجاني عند الضرورة.

في عام 1993 وعند خروجي من أجتماع حزبي ليلاً وفي طريق عودتي الى البيت، وقعت في حفرة وخرجت منها بصعوبة وغير قادر على المشي إلآ بإستخدام اليديين والرجلين معاً. وصلت الشارع، أشرت للتاكسي عدة مرات حتى وقفت إحداها، ونقلتني الى البيت، وعندما دخلت لم أستطع ليلتها النوم من شدة الألم، وفي الصباح راجعت مستشفى أبن النفيس وأخذت أشعة لساقي، فتبين أن فيها فطر فتم تجبير ساقي، وبقيت على هذه الحالة لشهرين، مستخدما العكازة في المشي.

في هذا الوقت سافرت برفقة زوجتي لزيارة الأهل في عنكاوا، عن طريق معبر فيشخابور، وعبرنا النهر بزورق صغير،ثم أجرنا سيارة أوصلتنا الى أربيل في طريق وعر، أستغرق حوالي عشرين ساعة، وسكنّا في بيت كانت تسكن فيه عائلة زوج أختي وأولادهم وأخي، وبلغ مجموع الساكنين فيه أربعة عشر شخصاً، فضلا عن إزدحامه يومياً بالزوار القادمين للترحيب بنا.

كانت الزيارة موضع أرتياحنا الكبير، لألتقائي بالأهل والاصدقاء وزيارتي لعوائل عديدة ممن أستشهد ابنائهم في صفوف الأنصار أو قتلوا في الحرب العراقية الايرانية، وأطلعت على ما حدث من تغير عمراني في عنكاوا، في فترة غيابي عنها حوالي خمسة عشر عاماً، هكذ أمضينا شهراً ثم عدنا الى سوريا.

في تشرين الاول عام 1993 أنعقد في شقلاوا المؤتمر الخامس، مؤتمر التجديد والديمقراطية للحزب الشيوعي العراقي، كنت عضو أحتياط فيه، لكن لم يتم توجيه الدعوة للأعضاء الأحتياط ،وكانت من نتائج المؤتمر أنه قلل من شدة المركزية والضبط الحديدي في المنظمات لصالح توسيع ممارسة الديمقراطية، كما صادق على تكوين الحزب الشيوعي الكوردستاني، وأنتخب قيادة جديدة وغيّر سكرتير اللجنة المركزية، وأجرى بعض التعديلات على النظام الداخلي وبرنامج الحزب، وقيّم تجربة الأنصار الى جانب مناقشتهِ لقضايا عديدة منها إستخدام السلاح الكيمياوي والأنفال والحرب العراقية الايرانية والحصار الأقتصادي والفدرالية وغيرها، وثبت ذلك في التقرير السياسي، وعند عودتي الى سوريا أنشغلنا بدراسة الوثائق الصادرة عن المؤتمر الخامس.

أستغلت فترة رقودي في البيت بسبب كسر ساقي، في قراءة بعض الكتب، أذكر منها ثلاثة

أجزاء لكتاب "العراق" لحنا بطاطو، وثلاثة أجزاء لعالم الاجتماع العراقي علي الوردي الموسوم"لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث" وكتاب جون رید "عشرة أيام هزت العالم" ورواية "الأم" لمكسيم غوركي ورواية "كيف سقينا الفولاذ" لنيقولاي أوستروفسكي ورواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف.

ذات مرة كانت زوجتي تمشي مع ثلاثة من معارفنا على الرصيف في مساكن برزا، حاصرتهم سيارة كان فيها شخصان، مد أحدهما يدهُ ونزع الصليب الذهبي من رقبة زوجتي وولى مسرعاً بسيارتهِ. فما كان من صديقي نبز توما الذي كان معهم، متابعتهما بسيارته الخاصة، ولكن بدون جدوى، ذهبنا وسجلنا شكوى في مركز الشرطة ولم نحصل على نتيجة، وقد ترك هذا الحادث اثرهُ السلبي في نفس زوجتي خاصة، أن الصليب كان هدية من والدتها.

كنت شغوفاً بسماع الأخبار من المذياع، وعلى نحو خاص من إذاعة "العراق الحر" وإذاعة "بي بي سي" وغيرها إضافة الى الصحف ونشرات نوفوستي.

كانت زوجتي تلح عليّ بالسفر الى إحدى بلدان المهجر وتقول الى متى نبقى نعاني من صعوبات أقتصادية، ولا سيما بعد إنقطاع المساعدات الحزبية، وقد عمل لنا أبن عمها بولص كوندا طلبا من السويد، راجعنا السفارة السويدية في دمشق وأجرينا اللازم وما هو مطلوب منا وكانت النتيجة الرفض، وبعدها ذهبنا الى السفارة الأسترالية في دمشق وملأنا إستمارات طلب اللجوء وقابلنا السفيرة، وجاءت موافقة قبولنا، وكان علينا أن نذهب الى الفحص الطبي وأجرينا كل الفحوصات المطلوبة، وللأسف تم رفضي بسبب بصري وقبول زوجتي، وعند مراجعتنا للسفارة ثانية، أخبرونا بأنه تم رفضهم لكلينا، بمسوغ أن الزوجة لا يجوز أن تسافر لوحدها، لتضيع هذه الفرصة علينا أيضاً.

في منطقة مسبقة الصنع، كانت لنا علاقة طيبة مع بعض العوائل السورية القريبة من البيت الذي نسكن فيه، أذكر منهم أم منال السورية، وكان قد توفي زوجها العراقي، ولها منه ثلاث بنات، كانت تعطف علينا، ونحن نمد لها يد المساعدة قدر الإمكان، خاصة عندما يأتي لزيارتنا أصدقاء من بلدان المهجر المختلفة، وكنا نحضر معاً المناسبات العديدة التي تتعلق بالحزب الشيوعي السوري، وكان في بيتها هاتف نستخدمهُ للإتصال الداخلي أو الخارجي، وكانت آخر مرة التقيناها في عام 1998، ثم رحلت عن الحياة وتألمنا عند سماعنا بالخبر. بتاريخ 20-11-1995 كنت راقدا في الفراش بسبب الألم الشديد الذي بقيت أعاني منه لفترة طويلة، جاء لزيارتي الرفيقان أبوعامل وأبو سيروان، تأثرا لما كنت أعانيه، وحاولا مساعدتي ، وعندما خرجا من بيتنا توجها لزيارة عائلة أخرى، وبعدها الى مكتب الحزب الشيوعي، وعند عودة الرفيق ابو سيروان، سقط بشكل مفاجيء قبل وصولهِ الى بيتهِ وفارق الحياة، وكان ينتظر فيزا السفارة السويدية للإلتحاق بزوجتهِ، وكان قد كلف زوجتي لشراء بعض الهدايا ليأخذها معه، وقد تألمنا كثيراً عند سماعنا بالخبر وأتصلنا بزوجتهِ ، وأخبرناها بأن أبو سيروان راقد في المستشفى ويطلب حضورها، وبالفعل قدمت في اليوم الثاني. ذهبنا الى المطار لإستقبالها، وعدنا معا الى بيتنا، كانت قلقة جداً، لم نخبرها بالحقيقة، قلنا لها أنه في الإنعاش، وغداً سنرسل أحد الأصدقاء ليسأل إذا ماذا كان بالإمكان زيارتهِ، وقد أتفقت مع هذا الصديق أن يأتيني وينقل خبر وفاة أبو سيروان، وهكذا بدأت تبكي عند سماعها بالخبر من الرفيق هاري كوركيس، وأقمنا مراسم التعزية في بيتنا وتوافد الكثير من الرفاق والمعارف ولثلاثة أيام لتقديم التعازي، وبعدها رافقت جثمانه، وكانت منظمة الحزب قد رتبت مسألة نقلهِ الى كوردستان ودفنهِ في شقلاوا.

في تشرين الاول 1996 وصلنا خبر وفاة الرفيق توما توماس (أبو جوزيف)، وكان آنذاك في زيارة لأبنهِ حكمت في القامشلي، سافرت مع زوجتي وشاركنا في مراسم التشييع، وعبرنا فيشخابور ووصلنا الى دهوك، حيث تم دفنه مؤقتاً هناك، بقينا ثلاثة أيام نشارك في مجلس العزاء، وقد حضر عدد كبير من رفاق وأصدقاء الحزب لتقديم التعازي، وكانت زوجتهُ الماس قد توفيت قبلهُ بثلاث سنوات، وفي وقت لاحق تم نقل الجثمانين ودفنا في القوش، وكان الرفيق الخالد أبو جوزيف يحظى بإحترام ومحبة الكثيرين سواء بين رفاقهِ بالحزب أو بين أهله في القوش، وأقيم له تمثال يمجد ويخلد تأريخهُ وعطائهُ ونضاله. وأستثمرت فترة مشاركتي العزاء، أثر حصولي على موافقة الرفيق كريم أحمد، لزيارة الأهل لبضعة أيام، وكان هذا ما حدث، ولكن تمت هذه الزيارة بحرص وحذر بالغين.

بعد أيام سمعت أن لجنة من هولندا قد وصلت الى سوريا وقابلت العديد من العراقيين وقبلتهم كلاجئين سياسيين في هولندا، وقد غادرت هذه اللجنة الى سوريا على أمل عودتها، لمقابلة وجبة ثانية من العراقيين، لذا فقد أسرعت الى مكتب الأمم المتحدة ومعي طلبا لإحالتي الى هذه اللجنة،

كما طلبت عرضي على طبيب العيون الذي زودني بتقرير طبي يفيد أنني بحاجة الى أجراء عملية بسرعة، لأعود الى مكتب الأمم المتحدة لأسلم التقرير الداعم والمساند لطلبي، وحصلت على رسالة تزكية من مكتب حزبنا في دمشق موجهة الى مدير الأمم المتحدة السيد محمد الدائري، وهو مواطن من ليبيا، وبعد أيام حصلت على موعد لأجراء المقابلة مع الوفد الهولندي، هكذا أجريت لي ثلاث مقابلات مع هذا الوفد الذي عاد ثانية، وكانت هذه المقابلات تخص الجوانب السياسية والصحية والنفسية والاجتماعية، وأستغرقت أكثر من ساعتين، تعاطف معنا الوفد ونحن بدورنا أجبنا على أسئلتهِ، وتولدت لديه قناعة في قبولنا بوصفنا لاجئين، وبدأنا ننتظر موعد السفر والحصول على وثيقة سفر، وبسرعة سافرت الى العراق لحل مشكلة تثبيت أسمي الحقيقي في معبر فيشخابور، لأنني كنت سأواجه مشكلة أثناء موافقة الخروج من سوريا، لأن دخولي كان بأسم مستعار، وخلال ثلاثة أيام دخلت العراق، وعدت الى دمشق، بعدها أصبح من السهل إجراء معاملة الخروج من سوريا في دائرة الهجرة والجوازات حيث أصبح دخولي رسمياً بأسمي الحقيقي، وبدأنا نهيء للسفر، وقمت بزيارة المعارف من الرفاق والاصدقاء.

ذهبت الى صاحب الدار الذي أسكنهُ لأبشرهُ، بأني سأترك له البيت، تفاجأ بألخبر، لأنه كان سابقاً يلح عليّ كثيراً لترك البيت، بحجة أنه سيسكن فيه بنفسهِ، وقد تعب كثيراً في التنقل بسيارة الأجرة من القرية الى مكان عملهِ مع أنه قاضي، كان بحق إنساناً متواضعاً جداً، جاءني الى البيت وسلمت له كل شيء، شكرتهُ على مواقفهِ معي وقد عرض علي مساعدة مالية في السابق، غير أنني جددت شكري ورفضي لأي مبلغ منه، لا وبل تركت له بعض الأثاث التي لم أعد بحاجة اليها.

في 17-12-1996 وبعد أن أنجزت كل ما هو مطلوب مني رسمياً من مراجعات والحصول على موافقات الدوائر للهجرة والجوازات والشرطة والمخابرات، توجهنا الى مطار دمشق الدولي ومعنا مجموعة أخرى من العراقيين، ووصلنا الى هولندا في صباح اليوم الثاني وسكنا في مركز إيواء اللاجئين في مدينة ابلدورن، على العموم كان المكان مرتبا ومجهزا، لإستقبال اللاجئين. أجريت لنا الفحوصات الطبية ودورة لتعلم اللغة الهولندية وفتحوا لنا حساب في البنك وأعطونا مبلغا لشراء الملابس والحاجيات المعيشية.

حل العام الجديد 1997، أخبرنا الصديق أمير حنا، بأنه سيرسل الأخ ازاد بطرس لمرافقتنا الى بيتهِ للإحتفال بعيد رأس السنة الميلادية، ذهبنا الى محطة القطار ننتظر قدوم الشخص المعني، أنتظرنا طويلاً وكان البرد يخيم على المكان، ونرتجف من شدته، لعدم تعودنا على مثل هذا الجو، لم يكن ثمة أية حركة للقطارات، ولم نلتق بالشخص القادم المزمع مرافقتنا، فقررنا العودة الى الكمب، بعد ان يأسنا، وعندما ركبنا الحافلة أعطيت لسائقها أسم الشارع والعنوان للبيت الذي نسكن فيه، إلآ أن الباص أخذنا بعيداً عن هذه المدينة، وعندما شعرت بأنه تجاوز الكمب الذي نسكن فيه من خلال إطالة مدة الوصول اليه، ذهبت الى السائق سألته عن العنوان قال أنا في طريقي اليه، عندها طلبت منه أن أنزل وأنتظر الباص العائد الى ابلدورن، أنزلنا عند أحد مواقف الباصات بأنتظار قدوم باص العودة، ولكن دون جدوى، وقد علمت بعد ذلك أن حركة سير الباصات تتوقف كلياً بعد الساعة الثامنة في ليلة عيد رأس السنة، فبدأنا نمشي بموازاة الشارع، والثلج يتساقط، وبعد أكثر من نصف ساعة، سمعنا صوت موسيقى، توجهنا نحو مصدر الصوت، حيث كان صادرا من مطعم. كانت هناك كنيسة قريبة منه، طرقنا بابها وخرج القس، فعرضنا عليه مشكلتنا وما حل بنا وطلبنا المبيت في الكنيسة، لكنه رفض، ما أضطررنا العودة الى المطعم، وشرحت لأحد العاملات فيه ما حل بنا، سألتنا إذا كان معنا النقود، تكفي لأجرة تكسي، تقلنا الى الكمب، وبعد وقت جاء التكسي فأعطيتهُ العنوان ونقلنا الى الكمب، لنحتفل على هذا النحو، في

ليلة عيد رأس السنة، فكانت أسوأ ليلة عشتها في حياتي، وأثر ذلك مرضت زوجتي ووقعت طريحة الفراش لأكثر من أسبوع، بسبب إصابتها بالبرد.

وفي هذا الوقت وصل أبن أخ زوجتي فرات حنا رحيم، قادماً من المانيا بنية طلب اللجوء في هولندا، مكث معنا ليلة ثم غادرنا في اليوم الثاني. كما زارنا عدد من الأصدقاء والأقارب وآخرون أتصلوا بنا تلفونياً للترحيب بقدومنا، كما أن إدارة الكمب نظمت لنا زيارات للعديد من الأماكن، منها الحديقة الشتوية وقصر الملكة وحديقة الحيوانات والمحكمة الدولية في مدينة لاهاي ومادورادام (بارك يضم أهم معالم هولندا على شكل نماذج مصغرة)، وفي أيام الاحد كنا نتردد الى الكنيسة وأصبح لنا علاقة مع القس بحيث كان يزورنا في الكمب وأخذنا الى محل بيع الحاجيات المستعملة فأشترينا منه ما نحتاجه، وعندما أردنا دفع ثمنها رفض وقال أنها على حساب الكنيسة، وسأقوم بنقلها الى بيتكم بنفسي.

كانت علاقتنا جيدة مع العاملين في إدارة هذا الكمب، وكانوا يلبون كل طلباتنا حتى أن أحدهم عرض علينا بجلب من تبقى لنا من أطفال في العراق. وجهنا دعوة لجميع العاملين لحضور جلسة غداء، وهيأت زوجتي عدد من الأكلات العراقية المعروفة، مثل الدولمة والكبة والبرياني والكباب والسلاطات. وكانت ضمن مجموعة الإدارة باحثة أجتماعية، كانت تقول لي أنتم ناس طيبين ولا نستطيع أن نرد لكم أي طلب. بعد مرور يوما واحدا على هذه الإستضافة، أستقبلتنا بلدية الميرا التي كانت قد هيأت لنا الأكل والشرب، وكان هناك عدد من العراقيين الذين جاؤا للترحيب بنا، أذكر منهم الاخ وحيد سليم والاخ شمال دزئي، وعندما ألقى نظرة على زوجتي سألها هل تعرفين سليم رحيم، تعجبت وقالت أنه أخي فمن اين تعرفهُ؟ قال أنه معي في الدائرة ذاتها التي نداوم فيها بأربيل، وهو يشبهك كثيراً.

حصلنا على قرض من البلدية لتأثيث البيت، وحددوا لنا أثنتان من المتطوعات لمساعدتنا في شراء أثاث البيت الضرورية وتسجيلنا في المركز الطبي والمدرسة ودفع إيجار البيت والتيلفون شهرياً عن طريق البنك، كما رافقونا في جولة بسوق المدينة لكسب الخبرة لتلبية حاجاتنا اليومية، كما كانت إحدى المتطوعتين، تحضر أسبوعياً الى بيتنا، لمتابعة البريد والرسائل الواردة، حتى أنها رافقتنا الى المستشفى في أمستردام، وأصبحت لنا علاقة وطيدة معها، بلغت حد الزيارات المتبادلة ولمدة سنتين. أخبرتنا بوجود مكان يسمى (في في ان) وهو يقدم المساعدات المطلوبة للقادمين الجدد في كتابة الرسائل والمراسلات، كما كانت هناك بناية قريبة من بيتنا فيها مركز الإتصال للاجئين وعدة جمعيات، كنت أزور هذا المركز يومياً ونلتقي بالأصدقاء ونمارس بعض النشاطات، أذكر منها، دورة اللغة الهولندية ومعرض وإجتماعات تثقيفية والمناسبات الأجتماعية، وكنا نتلقى مساعدة من العاملين فيه، خاصة من الاخ شمال دزيئي، وكان لنا جمعية بأسم (حمورابي) لها غرفة في هذا المركز.

ويشكل تدريجي، تكونت لدينا خبرة ومعرفة في تمشية أمورنا، ما دفعنا لتشكيل جمعية جديدة بأسم (عمكو)، تضم الناطقين بالسريانية، قامت بمجموعة من النشاطات، كالإحتفال بأعياد الميلاد ورأس السنة، وبعد مرور خمس سنوات، توقفت عن نشاطها، لمواجهتها، صعوبات في اللقاءات والإجتماعات، بحكم تواجد منتسبيها في مدن مختلفة وصعوبة تنقلهم.

كان في هذا المركز حوالي عشر جمعيات بينها خمس جمعيات عراقية تربطنا، بها علاقات صداقة طيبة، إذ نحضر مناسباتهم والفعاليات التي تقيمها، وقد شاركت في الفعالية التي أقامتها جمعية الأكراد أمام بناية بلدية الميرا لمناسبة يوم حلبجة والقصف الكيمياوي، لتعريف الناس

بالجرائم التي أرتكبها النظام العراقي بحق الأبرياء من الشعب الكوردي، حملنا مشاعل تمجيداً للشهداء، ووزعنا البيانات والمناشير ونحمل اللافتات، وقد ألقيت قصيدة للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري التي كتبها بعنوان "كوردستان موطن الأبطال" وقد نالت الفعالية إستحسان الحضور، التي كانت تهدف الى إدانة وفضح جرائم الدكتاتورية وتخليد للضحايا، كما كنا نشارك في كل عام بأعياد نوروز، حيث نقيم إحتفال تتخللهُ الدبكات والأغاني الكوردية وإشعال النار، وكانت زوجتي تعد أكلة الدولمة ونتناولها في نهاية الإحتفال، وكناً نشارك أيضا في المناسبة التي تقيمها الجمعية اليزيدية.

في الميرا أستدعانا مرة بيت الحي وطلب منا إعداد أكلات عراقية، وبالفعل قامت زوجتي بأعداد خمسة أنواع معروفة من الأكل العراقي، بينها البرياني والدولما والكبة والكباب والخبز العراقي، وحضر أكثر من ثمانين شخصاً لتناولهً، وفي النهاية قدموا الشكر وباقة ورد الى زوجتي، وتكررت هذه الفعالية، حيث طلبت منا جمعية نسائية إعداد أكلات عراقية قاموا ببيعها بدفع كل من شارك في الأكل عشرة ايروات، كان الهدف تعريف الناس بالثقافة العراقية.

دخلنا مدرسة تعلم اللغة الهولندية لثلاث سنوات، وكانت مفيدة لنا لتعلم أوليات اللغة التي نحتاجها لتمشية أمورنا اليومية، وكانت لنا أيضاً علاقة جيدة مع الكنيسة، وفي بداية القداس تحدثت عن الوضع في العراق ومعاناة الشعب العراقي بشكل عام والمسيحيين بشكل خاص وفضحت الأعمال الاجرامية التي يرتكبها النظام، ما دعا بالكثير منهم الى ترك بلدهم والهجرة.

في وقت لاحق، ذهبت الى دائرة البلدية وقدمت طلبا للحصول على الجنسية الهولندية، وإذا بالشرطية التي تقابلني تقول لي، بأنها تعرفني، وكما يبدو، أنها عرفتني من خلال الكلمة التي ألقيتها في الكنيسة، أستغربت وقلت لنفسي: يالها من ذاكرة متقدة، هذه التي تتذكرني بعد مرور خمس سنوات.

في هولندا يحتفل الناس في نهاية شهر نيسان بعيد ميلاد الملكة، طلبت منا الكنيسة إعداد وجبات أكل خفيفة، والهدف من ذلك، هو بيعه، وتزويدنا بالمبلغ الذي تربحه، ولكننا رفضنا ذلك، وأقترحنا أن يعود الربح للكنيسة، وليس لنا.

في عام 1998 سافرنا عبر سوريا الى كوردستان العراق، أستمتعنا بلقاء الأهل والأصدقاء في عنكاوا، ومكثنا فيها حوالي الشهر، وفي طريق العودة سمعت بوفاة زوج أختي فرنسيس، وأنا في سوريا، ولكني لم استطع العودة والمشاركة في مراسم التعزية.

في بداية كانون الثاني 1998 وصل أبن اختي ضياء ومعه شخص آخر الى هولندا قادمين من اليونان مكثوا معنا فترة قصيرة، ثم أنتقلوا الى كمب اللاجئين، وبعد مدة جاءت خطيبتهُ هيام سولاقا، وتحول الأثنان للسكن معنا في نفس البيت، حيث عملوا عدة أشهر في شركة لجني وتعبئة التفاح، وتزوجا بتاريخ 20-11-1999، وجرت مراسم زواجهما في الكنيسة، على يد الخوري روفائيل بنيامين، حيث صادف وجودهُ في هولندا، وأجرنا قاعة وهيئنا مستلزمات ومتطلبات الحفلة من أكل وشرب وموسيقى وغناء، وحضر الحفل الكثير من المدعوين الذين شاركونا بفرحتنا الى ساعة متأخرة من الليل، وقد ابدع الفنانون بتقديمهم باقة من الغناء الكوردي.

أجرنا من البلدية قطعة أرض صغيرة، لنزرع فيها بعض الخضراوات، ونقضي أوقات الفراغ باللقاء مع عدد من الأصدقاء حيث كان لهم مزرعة في هذا المكان أيضاً.

في أحد الايام بينما كنا نعمل في هذه المزرعة وفجأة، شعرت بغشاوة على عيني، بحيث لم أعد أرى السطوح المستوية أو الضوء إلآ بشكل ملتوي ومتكسر، أسرعت للمجيء الى البيت، كنت قلقا جدا، قمت بمراجعة المستشفى في أمستردام (آ.ام.سى.)، وفي اليوم الثاني تم إحالتي الى مستشفى في روتردام، وبعد الفحوصات أجريت لي عملية لشبكة العين، وأثر الإنتهاء منها قلت للطبيب أنا لا أرى النور، قال سيعود لك بعد أيام وبشكل تدريجي، كانت زوجتي تنتظرني وهي تبكي بعد أن علمت بنتيجة العملية، ومنذ 20-04-2001 بقيت أعيش الظلام الدامس، ولم أعد أرى الضوء كلياً، هكذا منذ هذا التأريخ فقدت النظر بشكل نهائي، وبعد ذلك راجعت الأطباء في مستشفى روتردام وأمستردام (المركز الطبي في امستردام) عدة مرات، حيث أجريت لي فحوصات عديدة، وبقيت أعيش على أمل أن يعواد النظر لي، ولكن دون جدوى، وهنا لا يسعني إلآ أن أشكر الأصدقاء الذين ساعدوني في مراجعة المستشفيات، أخص بالذكر منهم، رزكار رنجرو وصفاء بطرس وعلي رحيمي وشمال دزئي وآخرون.

وفي إحدى المرات، عرضت زوجتي على الطبيب أن تتبرع بإحدى عينيها لي، سكت الطبيب برهة، ويبدو أنه تعجب من موقفها، فعلق قائلا: الطب لم يصل الى هذه الدرجة من التطور، وأزاء موقفها هذا الذي لم يكن غريباً عليّ، أجد نفسي عاجزاً عن أنتقاء الكلمات المناسبة لأوافيها حقها في إستعدادها، التضحية بأغلى ما تملكهُ، وهو بصرها.

في مدينة الميرا كانت تربطنا علاقات جيدة بالعديد من العوائل، أذكر منها عائلة رزكار كوردي الذي غاب عنا بعد تعيينهِ في جامعة صلاح الدين في أربيل والآخر طيب الذكر ناجي عقراوي الذي رحل عنا، وفي إحدى المرات كنا في مناسبة زواج أحد الاصدقاء، ألتقينا بالقس سليم برادوستي الذي أستضفناهُ في بيتنا وتجولنا في مدينة الميرا وأمستردام، ودعانى المرحوم ناجي عقراوي الى بيتهِ، ثم رافقنا القس الى مدينة الميلو، وقد أرتاح كثيراً للزيارة، خاصة وأن أحاديثنا كانت تدور عن ذكريات الطفولة والمدرسة الابتدائية.

في الميرا مزارع عديدة لأشجار الجوز، وفي شهر تشرين الأول من كل عام، يذهب الكثير من الناس لجمع الجوز، خاصة عند هبوب الرياح، وقد ذهبت زوجتي الى هناك، وعندما عادت الى البيت كانت حزينة، ذلك لأنها فقدت ترجية أذنها الذهبية، وبعد عام ذهبت الى نفس المكان وعادت وهي تضحك قالت أنها عثرت عليها، وعلقت قائلة أنه مال الحلال، أما أنا فقلت لها ليس في كل مرة تسلم الجرة، ومرة أخرى ضاعت الترجية منها أمام الباب الرئيسي للبناية التي نسكن فيها، وعثرت عليها بعد يومين، وفي المرة الثالثة سقطت من أذنها في السوق، وعندما شعرت بذلك عادت تبحث عنها، وعثرت عليها رغم أزدحام السوق.

زارني العديد من الرفاق، أذكر منهم عزيز سباهي الذي ألتقيتهُ لأول مرة في مديرية الأمن العامة في بغداد، ثم في دمشق والأخيرة بعد أن قدم لزيارتي في هولندا، وقد حزنت كثيراً عندما سمعت بخبر وفاتهِ، والرفيق حميد مجيد موسى الذي كان في حينها سكرتير اللجنة المركزية، تالم كثيراً، لما أصابني وزودني برقم هاتف رفيق يعمل في منظمة بريطانيا، وقال سوف أتصل بهم وأطلب منهم مساعدتك في مراجعة الأطباء، كما وكان العديد من الرفاق والأصدقاء عونا لي عند زيارتهم، والتعبير عن مشاعرهم الطيبة التي خففت من الآمي الى حد ما.

إن مشكلتي كانت صعبة، ليس سهلاً أن ينتقل المرء بين ليلة وضحاها من الضوء الى الظلام الدامس، تذكرت قول الشاعر بشار ابن البردى، عندما سألوهُ وهو مكفوف كيف تعشق فتاة وأنت

لا تراها فقال: ياقومٌ أذني لبعض الحي عاشقةٌ والاذن قبل العين تعشق احياناً، قالوا بمن لا ترى تهدي.. قلتُ والاذن كالعينِ توفي القلبَ ما كان.

بدأت أعتمد على الحواس، وأستخدم العصا الخاصة بالمكفوفين، ومع مرور الزمن تأقلمتُ مع الوضع الجديد، حتى أنني راجعت قسم خاص بالمستشفى فعرضوا علي، تعلم القراءة والكتابة بالطريقة الخاصة للمكفوفين، وأستلمت منهم ساعة ناطقة وجهاز يقرأ صوتياً، وعندما تضع الرسالة تحتهُ، تتحول الكلمات المكتوبة الى صوتية.

في هولندا شاركنا في جميع المناسبات التي تقيمها المنظمة الحزبية ورابطة الأنصار الشيوعيين لمناسبات أعياد التأسيس ويوم الشهيد الشيوعي، وكنا نعد الكليجة العراقية المعروفة، وأن زوجتي قطعت كعكة العيد في ذكرى تأسيس الحزب، وألقيت أنا مرة قصيدة للشاعر كامل العامري بعنوان"الى شهيد" كتبها لمناسية أغتيال الشهيد محمد أحمد الخضري.

وفي هذه المناسبات تم تكريمي أربع مرات: أثنتان من قبل منظمة الحزب الشيوعي العراقي في هولندا، والثالثة من قبل رابطة الأنصار، والرابعة من قبل منظمة عنكاوا في أربيل، مع مجموعة من المعلمين القدامى، ولا زلت أحتفظ بما قدم لي من صورة للرفيق الخالد فهد وميدالية عليها أسم اللجنة المركزية للحزب والرسائل الخاصة بالتكريم.

في بداية الربيع من كل عام نسافر الى أربيل، ونقوم بسفرات الى مصايف السليمانية وأربيل ودهوك، ونحضرمناسبات وإحتفالات خاصة، كما في زواج رجاء نجيب، وهي أبنة أختي، وكذلك حفلة زواج وسيم أدريس وهو من أقارب زوجتي وحفلات أصدقاء عديدين، والمناسبات الأحتفالية التي تقوم بها منظمة الحزب في عنكاوا، والمحاضرات التي تلقى في مقرها، ومناسبات التناول وتخرج الطلبة، وبدعوة من الصديق الدكتور سليم بطرس، وألتقينا بالرفيق عزيز محمد، ودارت بيننا أحاديث ودية ومناقشات مفيدة، كما ألتقينا به مرات أخرى في بيت الصديق شمعون مرقص، وفي مطعم باسل، كان يزور بيت أخت زوجتي، في كل عام وكنا نزوره في بيته برفقة الرفيق أكرم دنحا، وكانت المرة الأخيرة قبل وفاتهِ بستة أشهر، وقد اهدى لي عكازة مصنوعة من خشب الجوز ما زلت أحتفظ بها.

زرت مقبرة عنكاوا للترحم على أرواح عدد من أفراد العائلة، منها قبر أخي وأختي وأمي وزوج أختي وأخت زوجتي ومجموعة من قبور شهداء الحزب، وأشعلت الشموع ووضعت أكليل الزهور على قبورهم، وجلبت معي حفنة من تراب قبور الشهداء لازلت أحتفظ بها.

كان فرات حنا رحيم يسكن مدينة ليفاردن في هولندا، نزورهُ في المناسبات، سافر الى عنكاوا وتزوج وعاد ثانية الى هولندا، وحضرنا حفلة أقامها لمناسبة زواجهِ، ثم أنتقل للسكن في مدينة الميرا، وكان ذلك موضع أرتياحنا خاصة أنه أبن شقيق زوجتي، كنا نتبادل الزيارات وذهبنا عدة مرات الى بلجيكا لمناسبة عيد مريم العذراء، وهناك كنا نلتقي بالكثير من العوائل القادمين من هولندا والمانيا وبلجيكا، ومرة ألتقيتُ ببنات عبد دنحا الذي كان جارنا سابقاً في عنكاوا، حيث كان قد أعتقل عام 1963، وهو من رفاقنا، ثم أنتقل للعمل في بغداد وباع أثاث بيتهِ، ووالدتي أشترت منهُ سريراً، كانت تقول هذا لأبني، عندما يتزوج.

أما بالنسبة الى فرات فقد أنجبت زوجتهُ طفلة ثم عادت العائلة الى عنكاوا عام 2007 وكانت زوجتي تشعر بالفراغ بسبب سفرهم، خاصة وأنها أعتادت عليهم .

في عام 2010 سافرنا الى عنكاوا، وبعد شهرين من بقائنا هناك، تزوج أبن أختي علاء نجيب، وأقمنا له حفلة زواج حضرها أعداد كبيرة من المدعوين، وأستمرت الفرحة عدة أيام، بعدها جاءت موافقة السفر لأختي تريزيا وزوجها نجيب، وطلبوا منا مرافقتهم الى فرنسا، وصلنا الى باريس، كان في إنتظارنا ضياء الحداد وسليم رحيم، حيث قدما من السويد بالسيارة، تجولنا في باريس وزرنا برج إيفل الذي كان مزدحما بالزوار وأنتظرنا كثيراً الى أن أتيحت لنا فرصة الصعود اليه، فألقينا نظرة على معالم باريس وبعد مغادرتنا للبرج، بدأنا نبحث عن فندق للمبيت، ولكن لم نحصل على مكان بسبب عدم حجزنا، لذا فقد قررنا السفر الى بلجيكا، وفي الطريق أخذنا قسطا من الراحة، لأننا كنا مرهقين من سفر الطريق بالسيارة الذي أستغرق ثلاث ساعات. ثم تحركنا الى أن وصلنا ألى بلجيكا ومنها الى هولندا، حيث نزلنا في بيتنا بمدينة الميرا، وكانت هذه أول زيارة لأختي وزوجها لنا في هولندا. وبعد ثلاثة أيام وصلنا الى المانيا وهناك نزلنا بضيافة الاخ طلعت سولاقا وهو من أقاربنا ويسكن مدينة كولن، أستقبلنا هو وزوجتهُ بفرح كبير، كانت زيارتنا له بشكل مفاجيء، في اليوم الثاني أخذنا الى كاتدرائية كولن وهي ضخمة وتزدحم دائماً بالزوار وتتمتع بقدرة عالية على جذب الزوار من أنحاء العالم، وقد تعرضت للقصف أثناء الحرب العالمية الثانية وسقط جزء منها، وفي داخلها توجد عدة قبور وفي أعلاها سبعة أجراس. صعدنا في برج الكنيسة وأستمعنا الى القداس، ثم عدنا الى البيت، وفي صباح اليوم الثاني واصلنا السفر بالسيارة الى الدانمارك ثم الى السويد، وقد قطعنا منذ خروجنا من أربيل حدود ثمان دول، وكانت هذه المرة الثالثة التي نصل فيها السويد بالسيارة، كانت رحلتنا متعبة جداً أستغرقت بالسيارة أكثر من عشرين ساعة.

في هولندا زارنا السيد حنا رحيم كوندا وزوجتهُ وأولادهُ عدة مرات وكنا دوماً نقضي معهم أوقاتا وايام جميلة.

لقد أعتدنا أن نزور عنكاوا في كل عام، ونقضي هناك ثلاثة أشهر، نزور خلالها الأهل والأصدقاء والمعارف، ونرتب سفرات الى شقلاوا ودهوك والسليمانية، ونحضر مناسبات الزواج والأعياد والتخرج، وفي إحدى المرات دعاني الاخ الدكتورنبيل جورج لحضور سهرة في مزرعة الرفيق سرود أنور سليمان الكائنة في طريق مصيف صلاح الدين، كان قد حضرها عدد من الأصدقاء، بينهم الرفيق كاوه محمود (هادي محمود) وكامران حنا وآخرون، وكان الدكتور نبيل جورج قد جهز كل شيء من أكل وشرب، جلسنا في المزرعة وبدأنا برفع الانخاب والأحاديث الودية الطيبة، ورائحة المشويات تملأ المكان، وتدريجيا بدأنا نشعر بالبرد، ذلك كان الوقت نهاية شهر نيسان، وأشتد أكثر في منتصف الليل، فلم أعد أتحمل لسعاته، سيما وأنا أرتدي ملابس غير واقية من البرد، في هذه المنطقة الجلية التي يتغير الجو فيها ليلا، لنتقل مضطرين الى داخل البيت في المزرعة، وفي الساعة الثانية ليلاً عدنا الى أربيل بعد أن أمضينا ليلة سعيدة وجميلة، في أعقاب عدة أيام من هذه السفرة، وقعت مريضا، فراجعتُ الطبيب جوني وبعد الفحوصات والتحاليل المختبرية قرر إدخالي مستشفى هاولير الأهلي، ومكثتُ فيه خمسة أيام، زارني خلاله العديد من الأصدقاء والرفاق، وأخص بالذكر منهم، زيارة نيافة مطران أربيل بشار وردة التي كانت مفاجئة لي ولم أكن أوقعها، فشكرتهُ كثيراً وعبرتُ له عن مشاعر. في عام 2007 أنعقد مؤتمر رابطة الأنصار الشيوعيين في أربيل، شاركت مجموعة من أنصار هولندا فيه، وكنت واحدا منهم، وبعد الإنتهاء من أعمال المؤتمر أقيمت فعاليات وإحتفالات عديدة وسفرة الى راوندوز، وفي عنكاوا، أقامت الجمعية الثقافية الكلدانية دعوة لأنصار هولندا حضرها الرفيق عزيز محمد، وجلسنا في حديقة الجمعية الى ساعة متأخرة،

من السويد زارنا في هولندا عدة مرات شقيق زوجتي سليم رحيم كوندا وزوجتهِ وأولادهِما وأحفادهما، وقد وصل عددنا الى أثني عشر شخصا في البيت الذي نسكنه، وبالرغم من ضيق المكان كنا نشعر بكامل الحرية والراحة، وفي آخر مرة زارنا الاخ سليم وزوجتهُ، في نهاية 2018 أثر وفاة شقيق زوجتهِ عامر بطرس في هولندا حيث شاركنا مراسم تشييع الدفن.

كانت تصلنا بين وقت وآخر أخبار محزنة عن وفاة الأهل، إذ رحلت عنا أختي مسكو وزوجها وأخي صباح ونجيب زوج أختي تريزيا وشابو زوج أختي سارا، أما زوجتي فقد فقدت هي الأخرى ستة أشخاص من أهلها، بينهم أربعة من أخوانها وأختها اليشوا وبنت أختها أمل وأيضاً تعذر حضورنا للمشاركة في إقامة مراسم التعازي، وكنا نواسي أنفسنا وأقول لزوجتي هكذا هي الحياة، فيها المفرح والمحزن، والموت حق ينتظر الجميع.

وأخيرا وقبل أن أنتهي من كتابة مذكراتي هذه، لا بد لي أن أشكر كل من قدم لي المساعدة، حووقف معي من الرفاق والأصدقاء والأهل والمعارف، وأخص بالذكر منهم: في هولندا الرفيق ناصر الثعالبي (أبو هدى) الذي تعرفتُ عليه منذ عام 1963 وألتقيتهُ في أربع محطات مهمة، في السجن و في سوريا وهولندا، والرفيق سالم جورج (عادل مخلص) الذي ألتقيتهُ لأول مرة في موسكو صيف عام 1978 ثم في هولندا، وبدونه لما كان بإمكاني كتابة هذه الذكريات، وكذلك الرفيق رعد عبد الحسين (أبو فراس)، والرفيق منير شيتل رومي (أبو باسم)، والأخ شكري سليم وغيرهم، إذ كانوا جميعهم على إستعداد لتقديم المساعدة لي، سواء كان ذلك عبر الإتصالات التلفونية اليومية أو الزيارات المتكررة، وفي قراءة الكتب وأخبار الصحافة، أو في مساعدتي بالتنقل عند السفر وفي مراجعة الأطباء وحضور المناسبات والفعاليات التي تقيمها المنظمة الحزبية في هولندا وغيرها من المساعدات والمساهمات وهي كثيرة ويصعب عليّ ذكرها هنا. كما أشكر الرفيق أكرم دنحا في عنكاوا المستعد دوماً لتقديم العون ، وأسجل شكري الى الرفيق فارس ججو وأولاد أختي، فالكل في موضع تقدير ومحبة، متمنيا السعادة والفرح، والعمر المديد لهم جميعا.

هولندا في مدينة الميرى (Almere) بمناسبة حفل زواج ضياء نجيب يوسف وهيام سولاقا يوسف بتاريخ 20-11-1999

هولندا في مدينة هيلفيرسوم (Hilversum) عماد الطفل مارفن سنان بطرس كوندا عام 2001.

انا و زوجتي سليمة رحيم كوندا مع ضياء نجيب يوسف و هيام سولاقا يوسف و طفلتهما ديانا

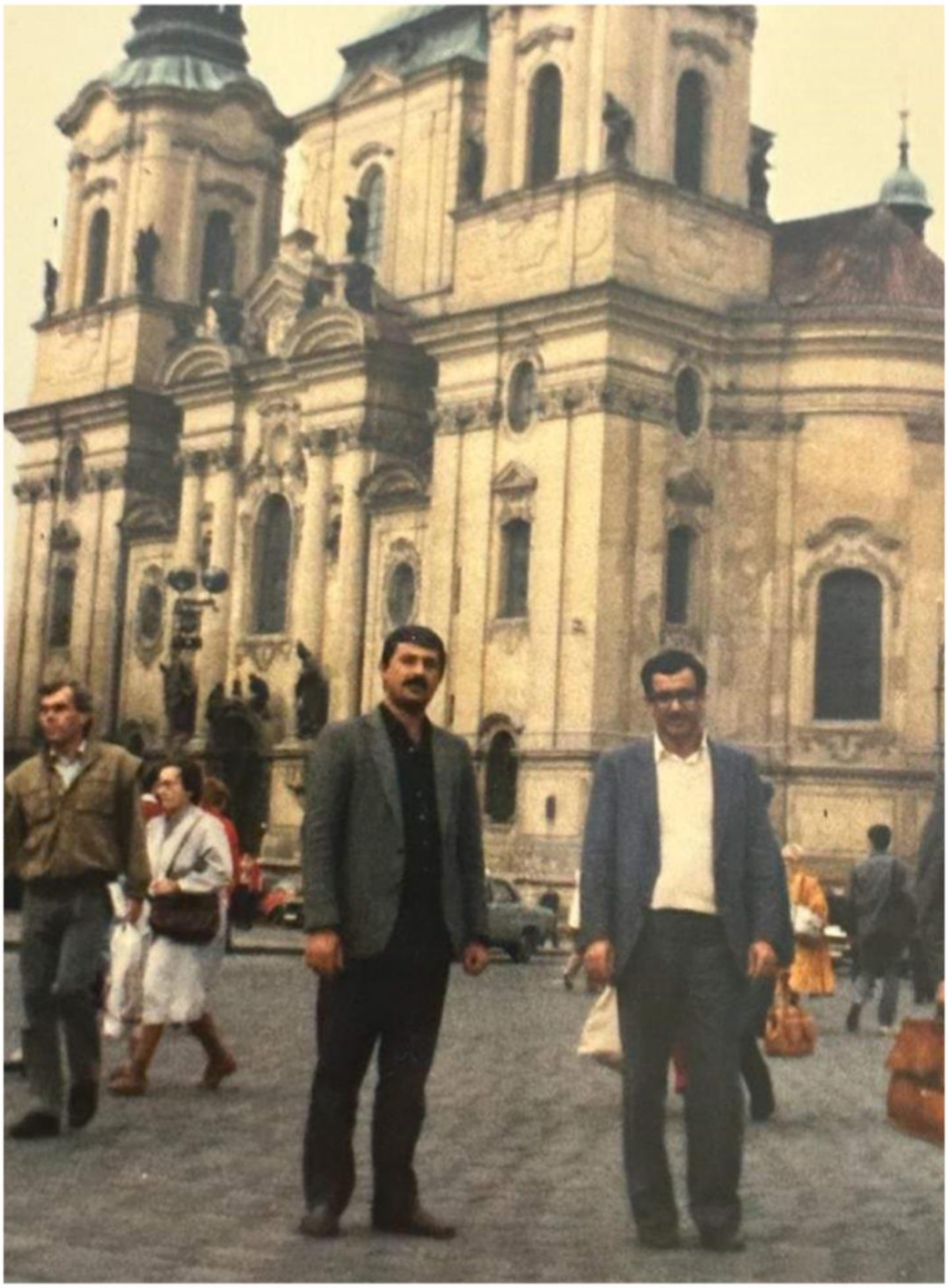

موسكو 1981 مع احد اصدقائي

حفل زواجنا انا و سليمة 8-7-1975 في عنكاوة و يظهر في الصورة من اليمين:
مريم شمعون كوركيس، سيدا منصور سيدا، راحيل هرمز قاقوس، بهنام حسيني، بولص هرمز دخوكا، يوسف هرمز، شابي بهنام مرقس و سعدي بويا المالح.

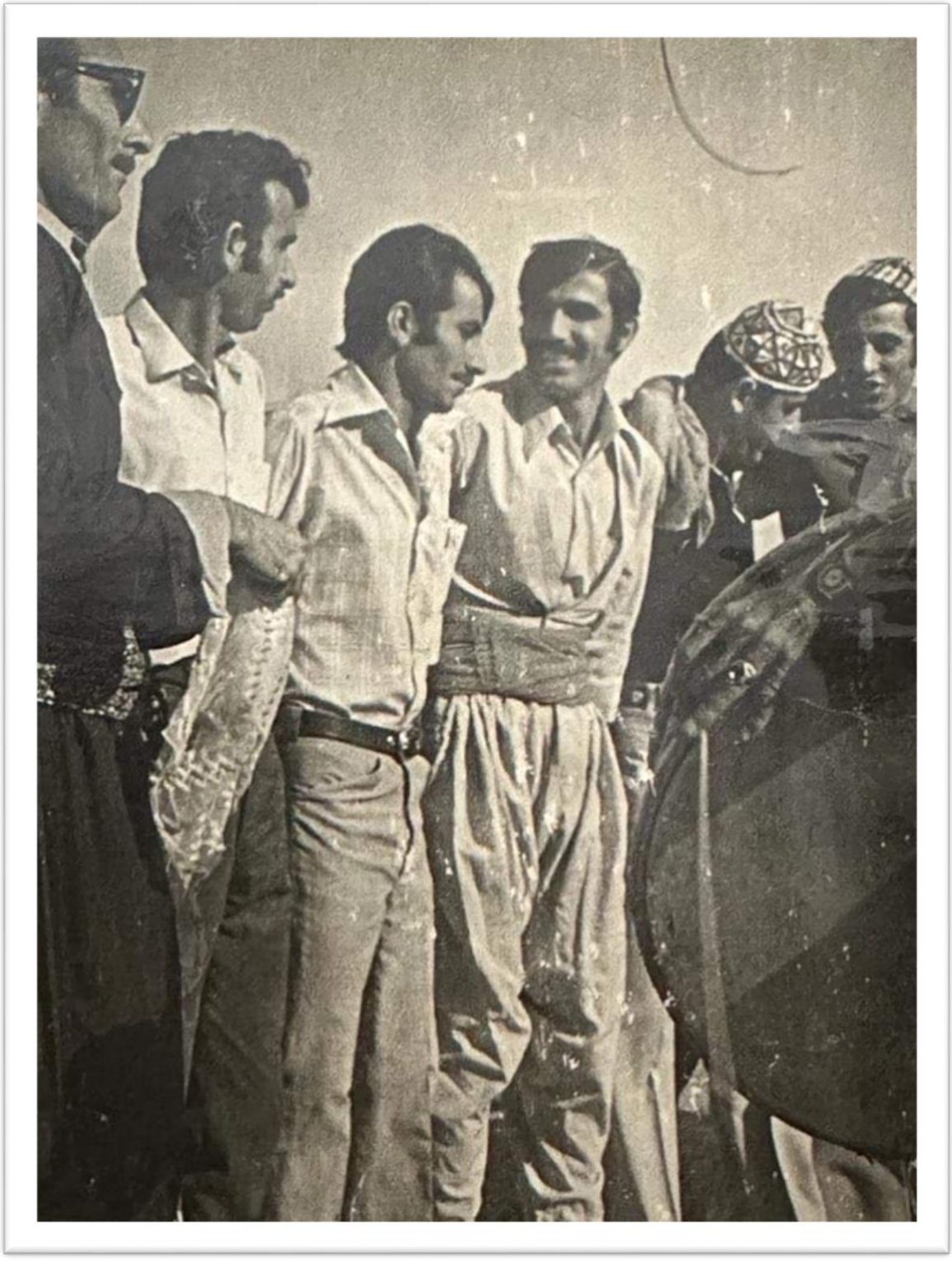

حفل زواجنا انا و سليمة 8-7-1975 من اليمين: عصام حنا صليوا، نبيل كوركيس يوسف، أكرم كليانا، صباح بطرس حكيم، حبيب عيسى و نجيب حنا عطو.

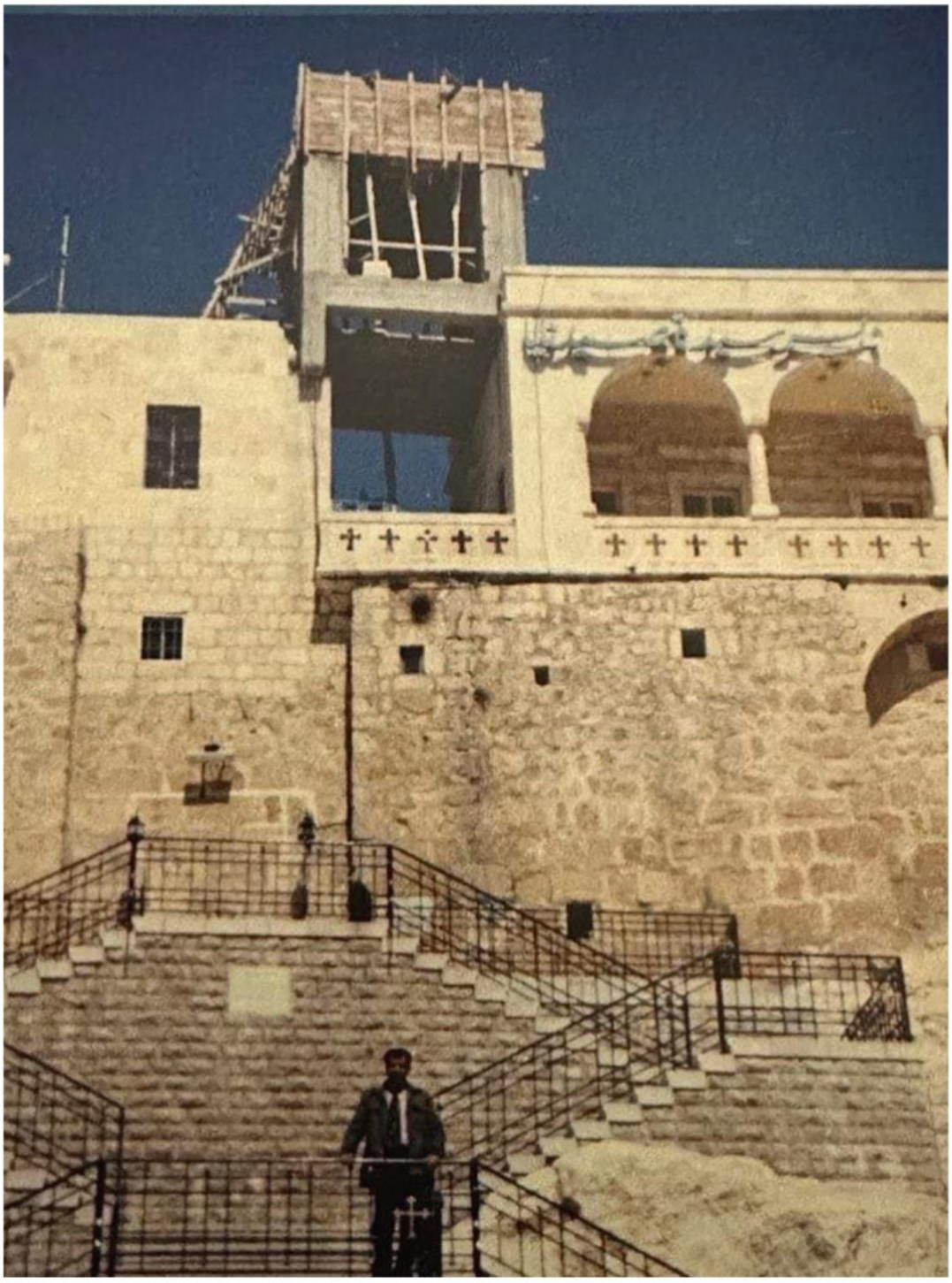

سوريا، دمشق ، دير صيدنايا آذار 1980 .

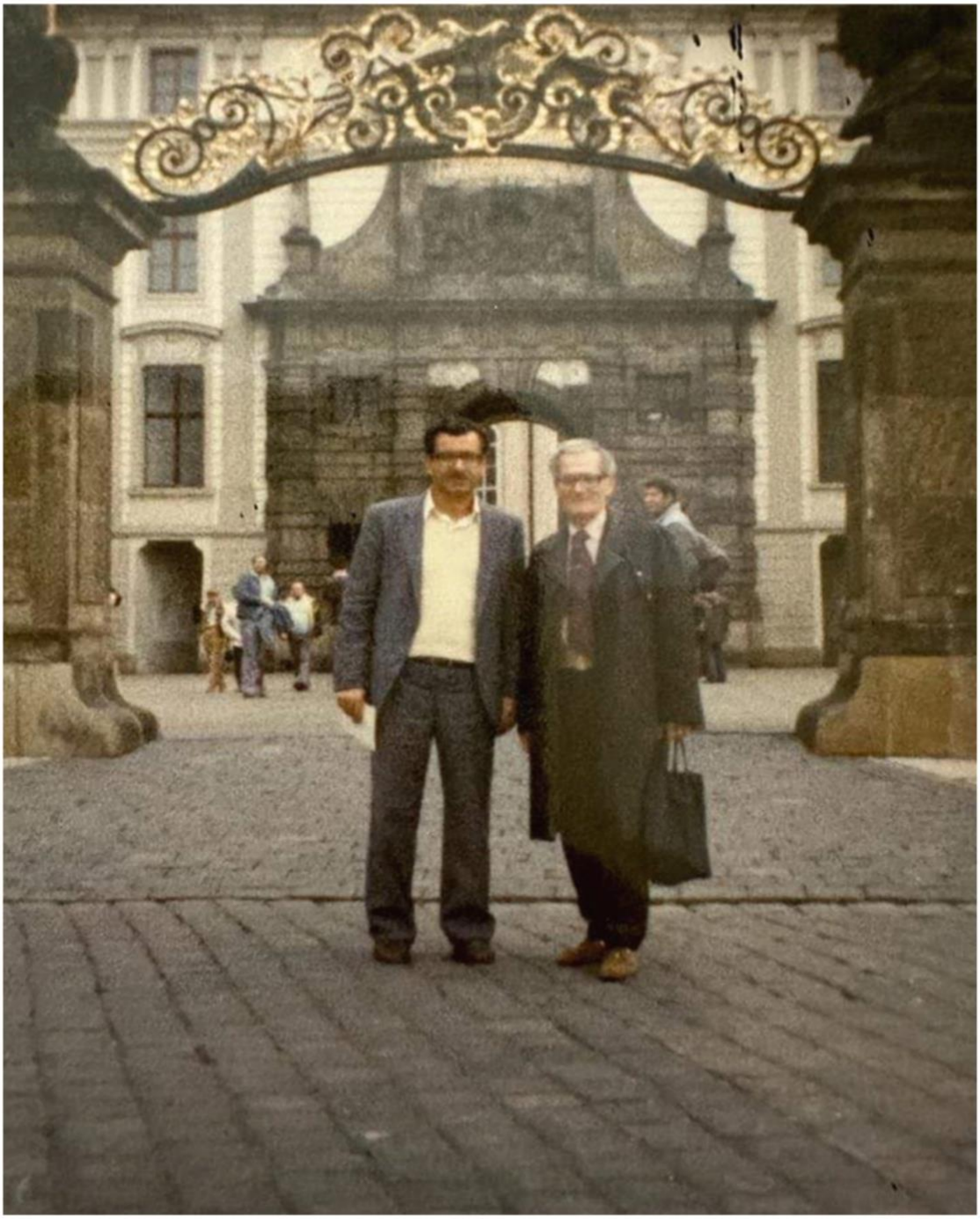

تشيكوسلوفاكيا، براغ (Prag) 1986 مع المترجم و هو فلسطيني

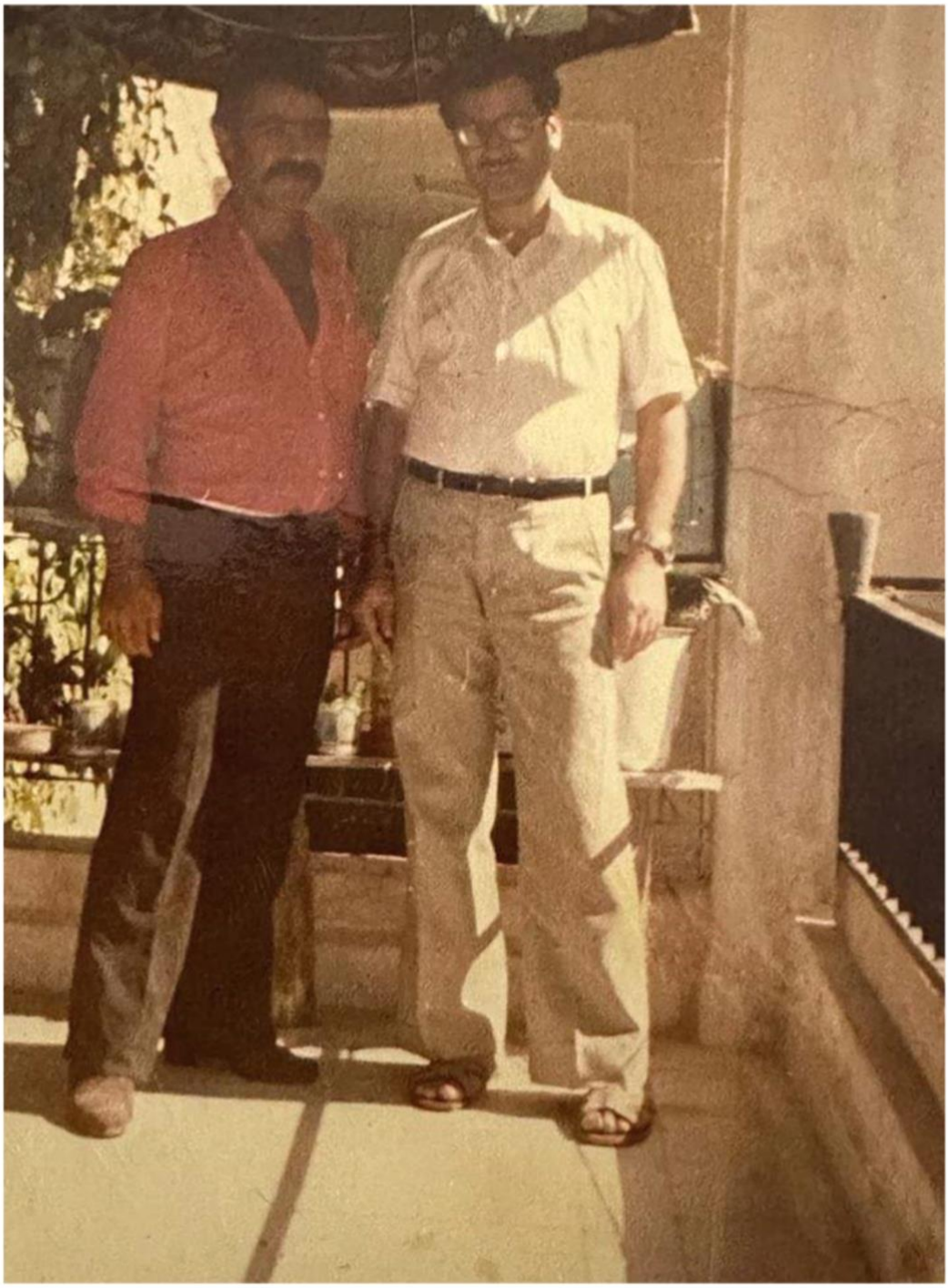

سوريا دمشق مع الرفيق الشهيد ديدار صليوا بيا (كارزان)

سوريا، دمشق، معلولا مع زوجتي سليمة

الوالد يوسف ايشوع يوسف في محله لبيع المشروبات في أربيل في اوائل الستينات

موسكو صيف 1981 معسكر الطلائع مع بعض الاطفال السوفييت المشاركين بالمعسكر

هولندا في مدينة الميرى (Almere) امام حديقة بيتنا بمناسبة زواج ضياء نجيب يوسف وهيام سولاقا يوسف بتاريخ 20-11-1999

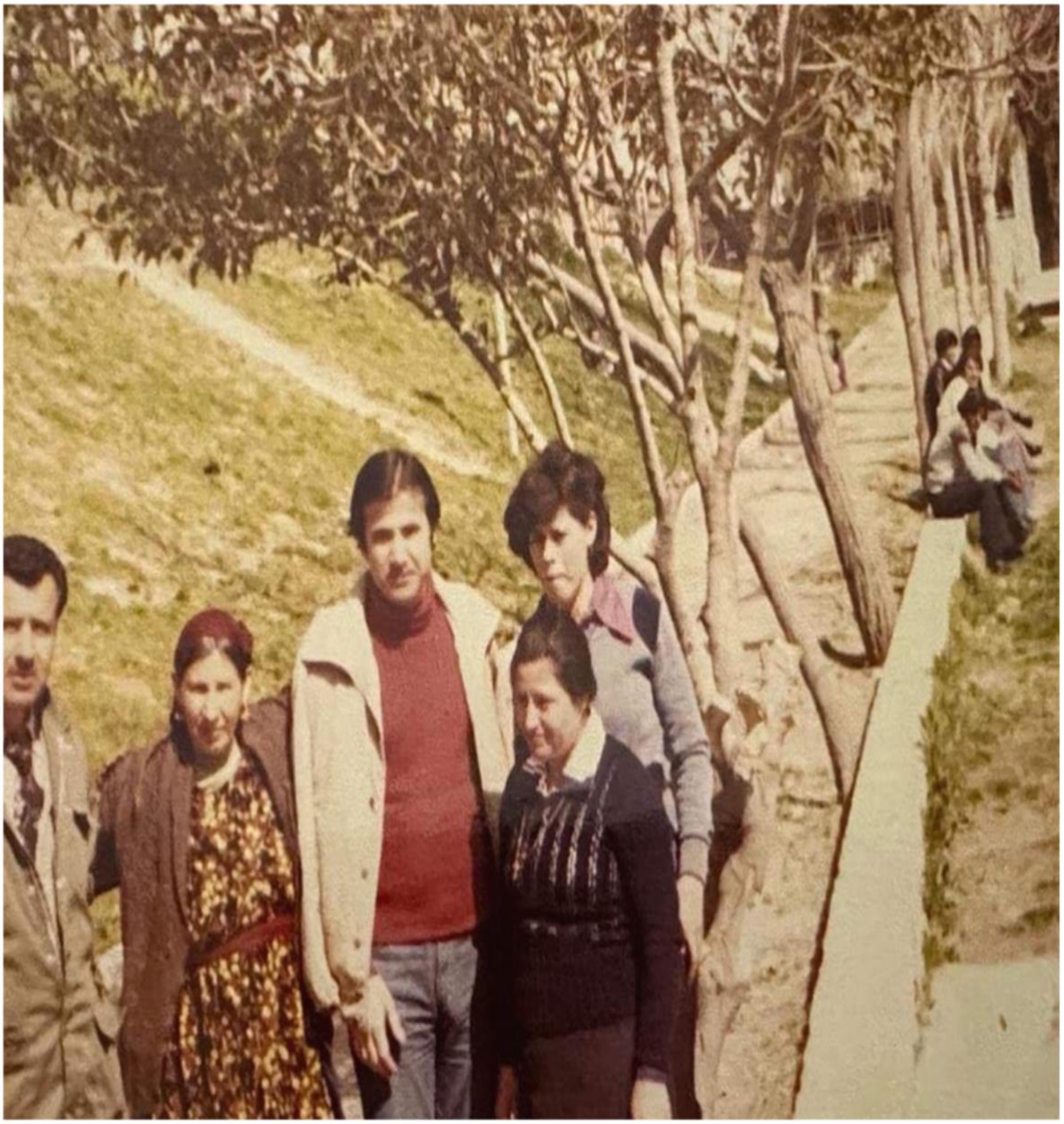

سوريا دمشق آذار 1980 مع د لمياء محمد علي من الديوانية و نجيبة يوسف يلدا و نظير إسحق عسكر و والدته شوشى اوراها يلدا

موسكو 1982 في معمل الاقمشة مع بعض العمال و العاملات فيه بمناسبة يوم العمل الشيوعي الطوعي.

هولندا أمستردام احتفالية يوم تأسيس الحزب الشيوعي العراقي و فيها زوجتي سليمة و هي تحمل كعكة الحفل و حولها مجموعة من الاخوة و الأخوات.

هولندا كمب ابلدورن (Apeldoorn) 1997 مع بعض الموظفين المسؤولين في إدارة الكمب

سفرة مع الأصدقاء من اهل عنكاوة: منصور مربين نباتي، الياس هرمز، سعدي المالح، عوديش شابو حكيم، خالد حسقيل و حنا يونس عيسى

أربيل، چناروك ربيع 1977 . مع زوجتي سليمة و شقيقتي تريزية، نجيب يوسف نيسان، بويا صليوا متي، الشهيد باسم يوسف نيسان (نوزاد) و هو يحمل الطفل بهاء نجيب يوسف، و بجانبه ضياء نجيب يوسف و صفاء نجيب يوسف

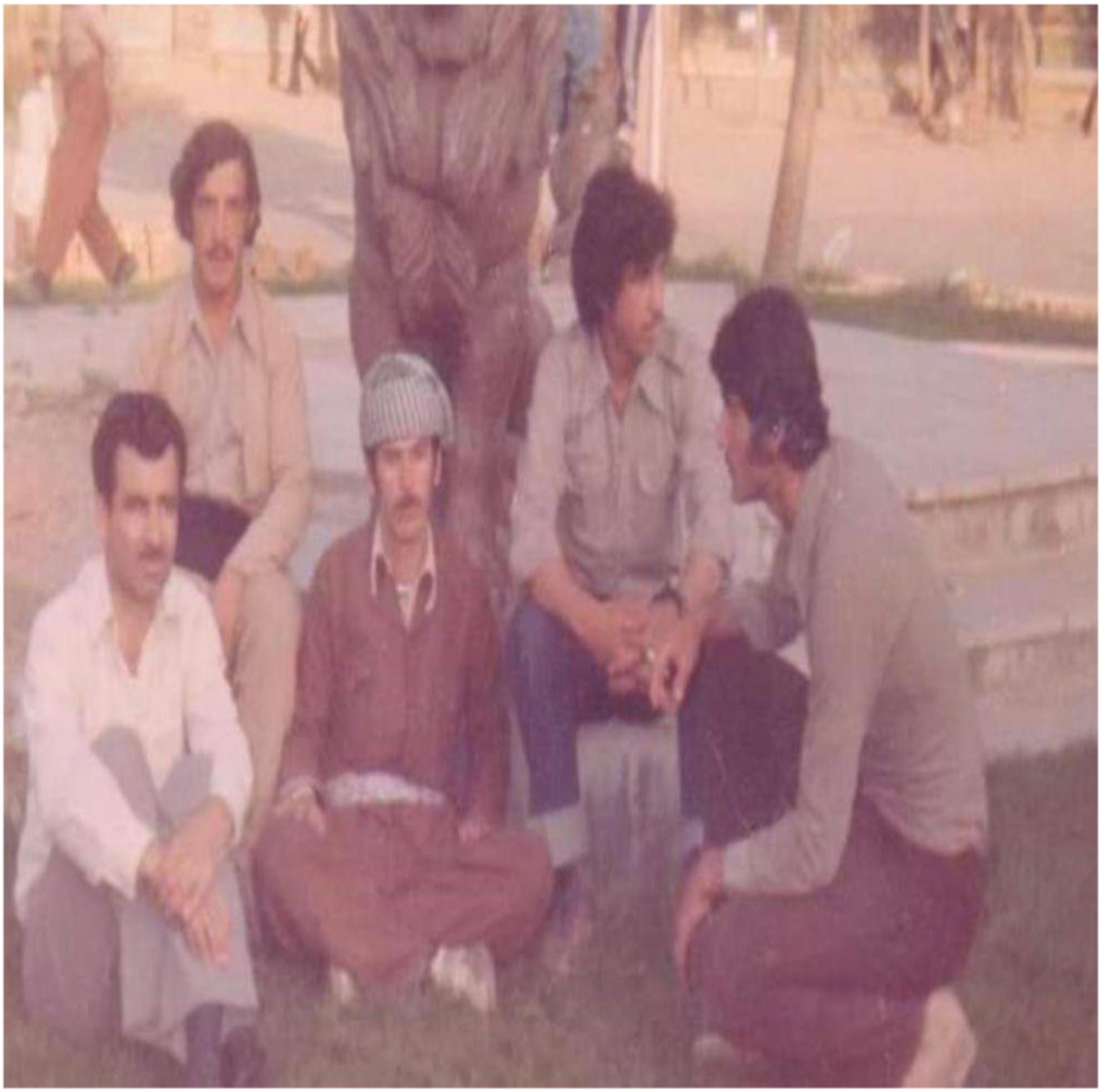

ايران مهاباد ساحة چوارچرا 1979 . مع الشهيد توفيق سيدا (ملا عثمان) سعيد الياس شابو، حكمت كوركيس عتو و الشهيد توما كليانا (فؤاد)

سوريا دمشق في توديع الأخت نازنين قبل سفرها الى السويد في شباط 1990 و في الصورة زوجة الرفيق المرحوم عادل سليم السيدة فتحية ام شوان و أولادها .

سفرة جماعية للاصدقاء ايام الزمن الجميل: حبيب توما، نجيب حنا عتو، صباح هرمز الشاني، حنا بطرس، سامي بهنام المالح، اميل حنا البرطلي، يوسف فرنسي (أبو سلام) الياس هرمز عجمايا، و يوسف كوركيس كنا.

سوريا دمشق في عين الخضرة 5-6-1989 . مع جورج يوسف منصور و طفله ريناد و فرنسيس حنا (أبو شاخوان)

سوريا دمشق في بيتنا في مساكن برزة في حزيران 1994 من اليمين الأخت هيلين، دلفين توما بويا ، زوجتي سليمة و انا، ام منال، و الرفيق المرحوم توما توماس (أبو جوزيف)

في بيتنا بهولندا في مدينة الميرى (Almere) بتاريخ 20- 11 - 1999 بمناسبة حفل زواج ضياء نجيب يوسف و هيام سولاقا يوسف و معي الخوري روفائيل بنيامين، يوسف صليوا جرجيس و زوجته نجاة شابو

انا و زوجتي سليمة في هولندا مدينة ابلدورن (Apeldoorn) سنة 1997

هولندا أمستردام 3-7-2000 في يوم تأسيس الحزب الشيوعي العراقي مع زوجتي سليمة و مجموعة من المدعوين

ايران مهاباد ساحة چوارچرا 1979 الشهيد توما كليانا (فؤاد) و الشهيد توفيق حريري، سعيد شابو الياس، و الشهيد توفيق سيدا (ملا عثمان) و فاروق حنا عتو و حكمت كوركيس

سوريا دمشق بيت السيد جورج يوسف منصور و كنا معزومين عنده و معنا الرفيق عزيز محمد سكرتير الحزب و كذلك نوزاد بطرس جرجيس، نجيب نوري حنا.

سوريا دمشق دير صيدنايا و في الصورة : الجالسين من اليمين دلفين توما بويا، زينة سعدي المالح، شوكت الياس شابو.

الواقفين: مكرم عزو فرنسي، إيفان حنا نباتي، زوجتي سليمة، سهى سولاقا دخوكا.

الصف الاخير: بهجت بطرس حكيم، انا ، بسام توما خضر و نبز توما متي.

عنكاوة 1974 و معي انا و سليمة في الصورة : مريم شابو (مري) بولص هرمز دخوكا و زوجته شكرية عوديش و أطفالهم،

عنكاوة 8-7-1975 في حفل زواجنا انا و سليمة و في الصورة: نبيل كوركيس يوسف، صباح بطرس حكيم، حبيب عيسى، هنيسة شابو متي و نجيب حنا عتو.

موسكو 5-5-1981عيد النصر مع مجموعة من المحاربين السوفييت القدامى من الحرب العالمية الثانية و هم يحملون اوسمة الشجاعة.

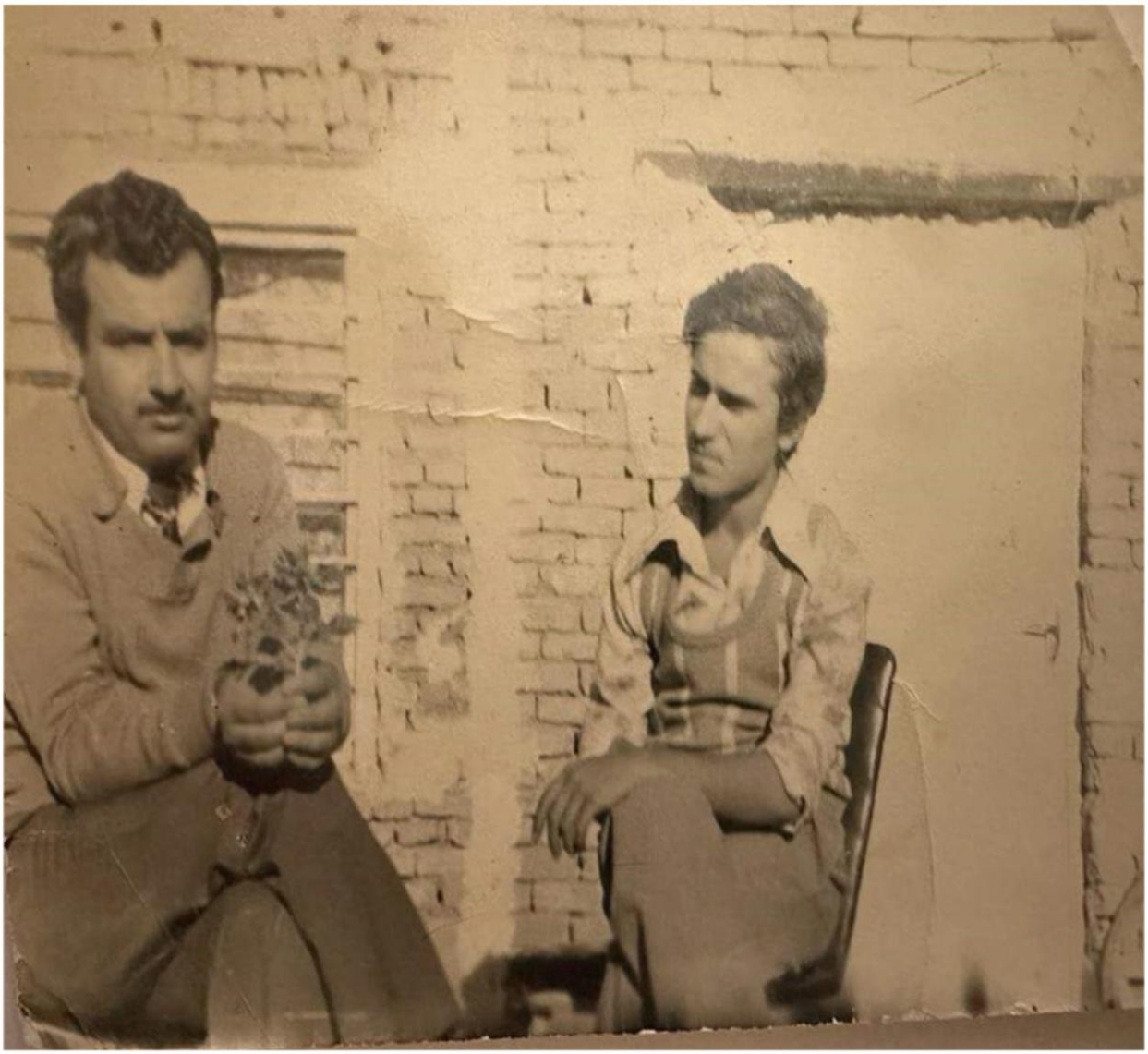

اربيل عنكاوة في مقر الحزب الشيوعي العراقي و معي الأخ فارس بطرس إيليا

سوريا دمشق 1-4-1988 بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب الشيوعي العراقي مع مجموعة من الاخوة و الأخوات من اهل عنكاوة.

ايران مهاباد 1979 في بيت المرحوم غازي فرنسي مع الشهيد توفيق سيدا (ملا عثمان)

كوردستان ناوزنك 1979 و في الصورة من اليسار المرحوم جلال يوسف الحكيم و انا و المرحوم نجم الدين مامو

كوردستان منطقة بارزان ربيع 1983 و فيها عدد من أنصار الحزب الشيوعي العراقي و عوائلهم. في الصورة الجالسين شوني يعقوب، الدكتور وليد شلتاغ، الشهيد هاني دنحا (دكتور سعيد) زوجتي سليمة ، ازاد بولص الحكيم

الواقفين: شوقي جلال يوسف، جلال يوسف حكيم، بهجت هرمز (ريبوار) الدكتورة ساهرة و يوسف صليوا توما الشقلاوي

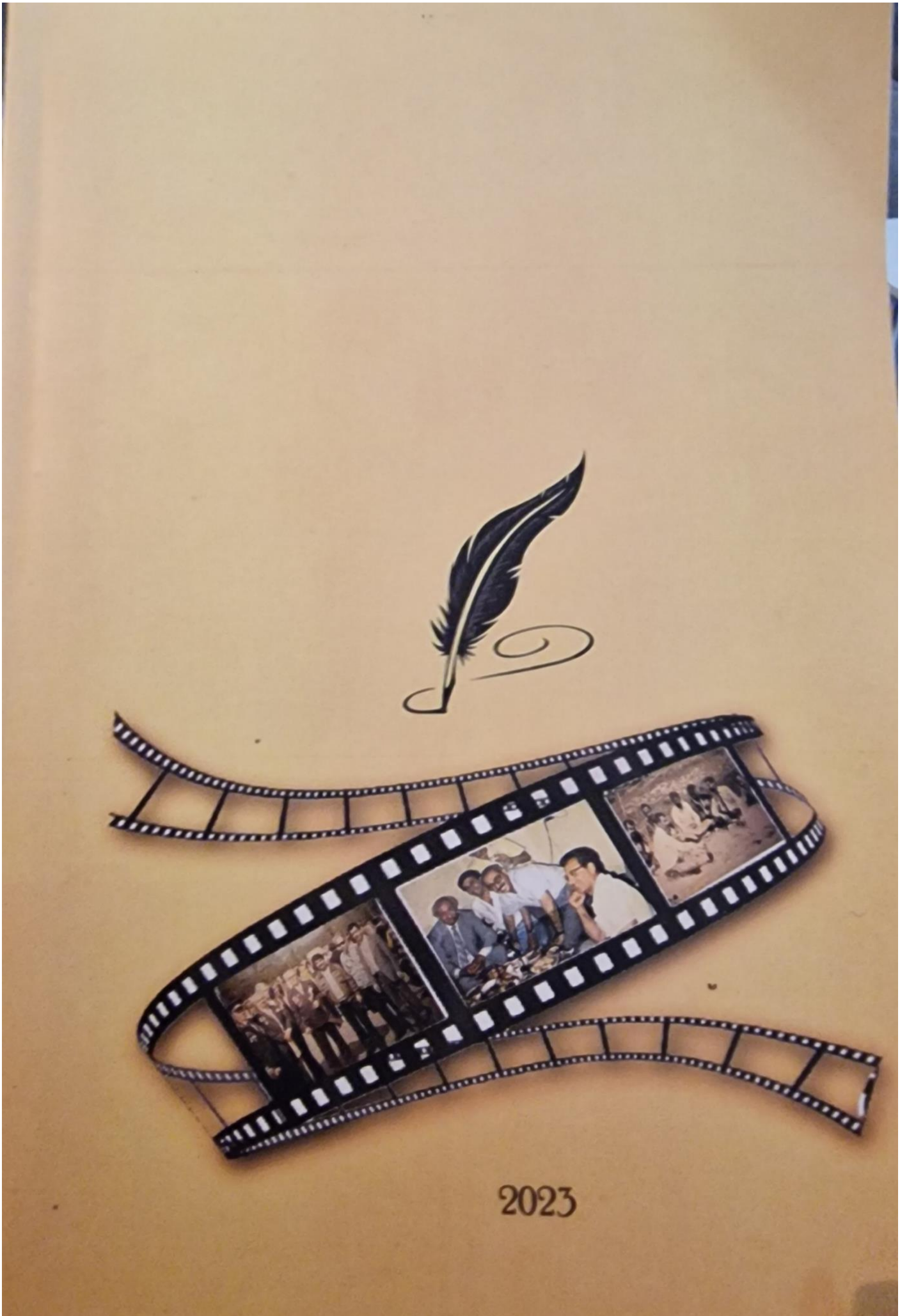
2023